بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة شندي

كلية الدراسات العليا

كلية الآداب

قسم الآثار والمتاحف

طبيعة المدن المروية جنوب العاصمة مروي

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الآثار

إعداد الطالب :- **إشراف :-**

عبد المنعم أحمد عبد الله **البروفيسور/ خضر آدم عيسى**

2013م

الفهرس :-

الآيه ..... أ

الإهداء ..... ب

الشكر..... ج

مستخلص البحث باللغة العربية ..... هـ

مستخلص البحث باللغة الإنجليزية ..... و

المقدمه 1

أسباب اختيار الموضوع 1

أهداف الدراسة 1

تساؤلات الدراسة 2

منهج الدراسة 3

الدراسات السابقة 4

تقسيم البحث 4

الفصل الاول

ماهية المدن والإستيطان 7

أسس التصنيف إلى مدن وريف 8-9

درجات العمران 10

القرية 10-11

المدينة 12

نشأة المدن القديمة 12

مدن الحضارات القديمة 14-21

الضواحي 24

التركيب الداخلي للمدينة 24

الموضع 25

أنماط الإستيطان 26

تحديد أنماط الإستيطان 29

الفصل الثاني

بداية ونشوء الإستيطان في السودان القديم 34

الفصل الثالث

المدن المروية جنوب العاصمة مروي(حالات الدراسه) 44

موقع دومة الحماداب 44

النظافات السطحية Surface cleaning 54

الخنادق الإختبارية بغرض دراسة الطبقاتTest trenches for stratigraphy.. 59

إختبار كوم خبث الحديد (H 100) 61

اللقى 63

موقع الحصا 72

دلالات الأسماء 79

الحصا: El-Hassa 79

مشرع الحصا: El-Merssa, Meshra el-Hassa,Mersa el-Hassa..... 79

سيال سراج Sayal Siraj, Saiyal Sirag, Seyal Suraj 80

ديم القراي Deim el-Qrrai 80

القبلاب Giblab 81

المحراب 89

الأدوات الطقوسية 89

وثائق دلالات اسم الملك أمنخركريم 95-97

موقع مويس 99

مؤشرات التعرف على موقع المدينه 102

المستوطنة والصناعة في الكوم الشرقي 104

الكوم الغربي 109

المركز التذكاري A Monumental Center 110

قصر قلعة الحواره The Palace of Gala'a el- Howara 114

تاريخ الموقع والمواد الثقافية – تاريخ أولي

Site History and Material Culture- First Date 119

مويس وبناء مدينةٍ ملكية مروية

Muweis and the structure of Meroitic Royal City 127

الفصل الرابع

تحليل المدن 129

الخاتمه 136

النتائج 139

التوصيات 141

مراجع باللغة العربية 142

مراجع باللغات الأجنبية 143

(ذَلِكَ مِنْ أَنبَـــآءِ القُـــرَى نَقُصُّـــهُ عَلَيْـــكَ مِنْـــهَا قَائِـــمٌ وَحَصـــيدٌ)

صدق الله العظيم

آيـه(100)

سُـورَةُ هُودٍ

الإهداء

إلى .....

روحيْ أمي وأبي الطاهرتين في عليائهما.

إلى .....

صنو الروح والعقل والفؤاد ..... زوجتي الحبيبة.

إلى .....

بلدي الحبيب ..... السودان ..

ثقافةً ماديةً , وإرثاً بشرياً عظيم .

الشكر والتقدير

من بعد الله عز وجل الذي لاتنقضي نعمه, أقدمه الى استاذي البروفيسور خضر آدم عيسى, مشرفاً وناصحاً وأخاً أكبر, ثم الأخ الاستاذ عاصم مختار الهادي في قسم اللغة الفرنسية في كلية الآداب بجامعة شندي, لما تفضل به من نقل المادة الفرنسية الى العربية, والدكتور بكري عمر رحمه رئيس قسم التاريخ في كلية الآدب بجامعة شندي, وليلى حسن للطباعة, والى الراحلين: الدكتور خضر عبد الكريم أحمد وصلاح عمر الصادق, والفرنسيين باتريس لونوبل وميشيل بود. والى البروفيسور الألماني استيفان فيينيخ والبروفيسور على عثمان محمد صالح, والاستاذ حسن حسين إدريس لرعايتهم فكرة هذا البحث وتشجيعهم المتواصل للمضي فيه.

كما أفسح مساحةً رحبة من الإمتنان والتقدير لجامعتنا الناهضة في شندي التي تفتحت فيها أولى مداركنا العلمية والإدارية لرعايتها المشروعات العلمية التي وفرت مادة البحث, كما اشكر جامعتنا الام في الخرطوم ممتناً اشتداد العود فيها منذ مراحل التلقي المعرفي الأولى وحتى اليوم. واشكر الصلات العلمية والأخوية لزملائي واساتذتي في الهيئة العامة للآثار والمتاحف المظلة العلمية والإدارية لتنفيذ المشروعات البحثية, ايضاً إدارة وباحثي الوحدة الفرنسية للآثار الملحقة بالهيئة.

كما اشكر اسرة مكتبة السودان بجامعة الخرطوم, ومكتبة كلية العلوم في جامعة النيلين لما وفرتاه من معينات كتابة البحث, واشكر اسرة مكتبة وادارة بيت الضيافة ومعهد الآثار الألماني في برلين لما بذلوه من سخاء خلال الإقامة لإعداد الرسالة.

كما اشكر الآثاريين الألمان الدكتور باڤل وولف والدكتورة سيمون وولف وزوجها الدكتور هانس اوناش القائمين على بعثتي دومة الحماداب والحمامات الملوكية في مروي, بجانب الآثاريين الفرنسيين فنسنت روندو وكلود ريلي وجورجيو نوقارا في مشروع تنقيب موقع الحصا, واستاذي الدكتور صلاح الدين محمد أحمد والدكتورة جولي آندرسون في مشروع تنقيب موقع الضانقيل.

واخيراً اشكر اسرتي التي اشتد فيها العود روحاً وفضلاً من أخوتي وأخواتي وابنائهم لما ظلوا يبثون في الوجدان من عزمٍ وزملائي وطلابي.

واختم بشكر زوجتي الاستاذه نهى عثمان خوجلي التي لولاها – بعد فضل ربي العظيم– مارأى ماكتبت النور, فقد كتبت وراجعت وطبعت وصبرت وماونيت من اعداد الحقائب والعلم . فلها ولهم جميعاً شكري. "ولوكنت انتظر الكمال, ما فرغت من كتابي هذا", وان أصبت فمن الله الفضل والتوفيق وإلا فمن عجز الانسان.

مستخلص البحث باللغة العربية

لقد أُقتُرِحتْ هذه الدراسة بعد ملاحظة مؤشراتٍ لتنوعٍ واضحٍ في أنماط الاستيطان في أقاليم الدولة المروية, أوفيما بين هذه الأقاليم خاصة في منطقة مروي العاصمة, وكان من شأن دراسته تقود بصورة مباشرة أو غير مباشرة الى فهم متقدم حول ملامح النظم الإقتصادية والإجتماعية والتعرف على النظم السياسية لدولة مروي, بما يلقي بالتالي ضوءً أوضح حول الجوانب الثقافية والحضارية لهذه المملكة مما يسهم في وضع منهجية متوازنة تؤكد خصوصية الحضارة المروية وسماتها المحلية.

واختيرت ثلاث مستوطنات حضرية مروية في كل من دومة الحماداب والحصا ومويس لدراسة طبيعة انماط الاستيطان المروي فيها وخلصت الدراسة الى ان طبيعة هذه المدن هي ملوكية وشبه ملوكية استمرت في فترات مختلفه من عمر الدولة المروية, وقد توفرت في هذه المدن محددات ومفاهيم وشروط انماط الاستيطان الحضري كما وضعها الباحثون في مجال دراسات جغرافية المدن والعمران, وانبنت منهجية البحث على دراسة هذه المدن دراسة تفصيلية كوحدات مستقلة ثم دراسة منظومة شبكتها في اطارها الاجتماعي.

Abstract

The study was recommended on the base of variety of the settlement patterns in or in-between the different regions of the Meroitic Kingdom, mainly in the region around the Capital City of Meroe (the core of the Meroitic Kingdom), that may lead towards a better understanding of the cultural, economic and political systems of the Meroitic Kingdom, and may help organizing a scientific approach for studying the local characteristics of the kingdom.

Three Meroitic Urban settlement at chosen at Domat el- Hammadab, el-Hassa and Muweis in order to study the nature of the Meroitic settlement in the area. The study arrived to the conclusion that these three Meroitic urban centers were either Royal or semi-Royal cities through different periods of the kingdom. Determinations of the urban settlement patterns were achieved on these cities.

المقدمة

إن الطبيعة الخاصة التي تميز المستوطنات المروية في المنطقة المعروفة (بجزيرة مروي) والتي يصفها الباحثون بكونها قلب المملكة المروية (Meroitic core) (Edwards:1999, 65), وما يميزها من سافنا مطيرة تظهر بوضوح في المنطقة المعروفة بالبطانة الغربية (الكربة) حيث تنتشر المواقع الرئيسية في المصورات الصفراء والنقعة وعاصمة المملكة نفسها في مروي بالإضافة إلى مجموعة شبكة المواقع الصغيرة الأخرى قد جعلت التفسيرات حول طبيعة هذه المستوطنات تبدو صعبةً، خاصة في غياب الدراسة المتعمقة الموجهة بصورة أساسية لدراسة منظومة المواقع الأخرى المنتشرة على سبيل المثال في مواقع دومة الحماداب، الحصا ومويس وغيرها (Edwards:1989,129-31; Ahmed: 1984, 50-59).

أسباب اختيار الموضوع :-

إن قلة المعطيات الأثرية التي كانت متوفرة للباحثين حول طبيعة المستوطنات المروية كانت تمثل حتى وقت قريب معضلة أمامهم، لا سيما أولئك المهتمين بطبيعة الإستيطان المروي لذلك لم تمكنهم قلة هذه المعطيات الأثرية من إجراء دراسات مقارنة موجهة لدراسة هذه المستوطنات بصورة تفصيلية دقيقة ولذلك أيضاً فقد كان مجمل الدراسات السابقة حول هذا الموضوع يقترح التركيز على المنطقة الجنوبية من مملكة مروي.

أهداف الدراسة :-

إن دراسة أنماط الإستيطان الإقليمية في هذه المنطقة من خلال فحص بانوراما المواقع (Land scape) بجانب دراسة المواقع كوحدات مستقلة، ومن ثم دراسة منظومتها في إطار نطاقها الإجتماعي من شأنها أن تمثل

المنهجية التي ربما تقود إلى فهم متقدم وأوضح حول طبيعة تلك المستوطنات، مما قد يساعد في تطوير منهج متوازن يؤكد خصوصية الحضارة المروية وسماتها المحلية (Edwards:1999, 65) وذلك لأهمية ما يمكن أن يقدمه نطاق شندي الآثاري (Shendi Archaeological District) من معلومات تتعلق بفهمنا لتطوير منهجية لدراسة السجل الاستيطاني لهذا النطاق في العهد المروي.

تساؤلات الدراسة :-

تجئ هذه الدراسة محاولة للإجابة على العديد من الأسئلة التي تبرزها هذه المواقع، ومن بينها تساؤلات حول :-

- استمرارية هذه المستوطنات في الفترات المختلفة من عمر الدولة المروية.
- إمكانية ربط هذه المستوطنات بممارسات لنشاطات زراعية مكثفة اعتماداً على الأودية المنتشرة في المنطقة.
- انتشار واسع لهذه المستوطنات على كل نطاق الإقليم، أم أنها انحصرت فقط في نطاقات ضيقة على أشرطة الأودية.
- هل كانت هذه المستوطنات تمثل فقط مراكز موسمية تخدم الرعاة الجائلين على طول امتداد النيل, أم امتد بعضها وتوغل – ربما – إلى الدواخل بعيداً عن النيل.
- كيفية شرح تركز الأنشطة الاستيطانية في هذه المنطقة, وانعدام المواقع الدالة عليها إلى الجنوب أو إلى الشمال تجاه صحراء بيوضة على سبيل المثال.
- محاولة فهم المدى الذي يمكن به وضع تفسيرات بيئية لكل هذه التساؤلات.

- التعرف على مدى انطباق محددات ومفاهيم وشروط أنماط الاستيطان الحضري (Urban settlement) في هذه المستوطنات كما وضعها الباحثون في مجال دراسات جغرافية المدن, ذلك من خلال المواقع التي أُختيرت كحالات للدراسة في هذا البحث في مواقع دومة الحماداب، الحصا ومويس.

وإجمالاً، فإن الدراسة تهدف إلى التعرف على كل هذه المؤشرات وما يمكن أن تقدمه من فهم أكثر تحديداً عما هو متوفر حول طبيعة النظم المختلفة للدولة المروية.

منهج الدراسة :-

تحاول هذه الدراسة الإسهام في وضع منهجية متوازنة تؤكد خصوصية الحضارة المروية وسماتها المحلية. وقد اعتمدت منهجيتها على الوقوف على مستوى الدراسات السابقة – على ندرتها – حول الموضوع بجانب اعتمادها المنهجيات المعروفة في علم الآثار، ومن بينها المنهج الوصفي والتحليلي والتاريخي, إلا أن الدراسة أنبنت بصورة أساسية على المشروعات البحثية التفصيلية الموجهة لدراسة مواقع المستوطنات (الجديدة) في منطقة الدراسة، وأبرزها تلك التي تضطلع بها جامعة شندي من خلال كلية الآداب وقسم الآثار والمتاحف الوليد فيها متعاونة مع الهيئة العامة للآثار والمتاحف من جهة, ومن جهة أخرى مشتركة مع جامعة همبولدت الألمانية والمعهد الألماني للآثار ببرلين في موقع دومة الحماداب بمنطقة كبوشية، كما أن تعاوناً بين الجامعة والهيئة من جهة مع الوحدة الفرنسية للآثار الملحقة بالهيئة العامة للآثار بالخرطوم وجامعة ليل الثالثة الفرنسية من جهة ثانية، قد بدأ العمل بمقتضاه في موقع الحصا بمنطقة ديم القراي منذ بدايات هذه الألفية, بجانب مشاركات الباحث الميدانية المستمرة والمتواصلة في هذين المشروعين،

بالإضافة إلى اعتماد الدراسة أيضاً على المشروعات التي ينفذها في المنطقة العديد من المؤسسات العلمية الوطنية والعالمية، وعلى وجه الخصوص مشروع بعثة متحف اللوفر الفرنسية في موقع مويس بالقرب من مدينة شندي. بجانب البعثة الآثارية السودانية التابعة للهيئة العامة للآثار والمتاحف والعاملة في موقع الضانقيل شمال مدينة بربر.

الدراسات السابقة :-

إن الأبحاث السابقة كانت قد ناقشت بعضاً من تساؤلات هذه الدراسة، إلا أنها جاءت في مجملها جزئية ومعممة :-

- (Al-Hakem, 1972, 1989).
- (Ahmed, 1984).
- (Adams, 1974, 1976, 1977, 1981, 1984, 1986).
- (Bradley, 1986, 1992).
- (Edwards, 1989, 1995, 1996, 1999).
- (Eisa, 1999, 2000, 2005).
- (Garstang, 1911).
- (Grzymski, 1982).
- (Haycock, 1972).
- (Hinkel, 1994).
- (Sayce, 1907).
- (Török, 1979, 2004).
- (Tigger, 1965, 1969).
- (Wainwright, 1945).
- (Žabker, 1975).

وقد ألقت هذه الدراسات بعض الضوء حول الأفكار والمعتقدات الدينية والعلاقات السياسية والإجتماعية والإقتصادية والفنية والمعمارية ومجمل النواحي الثقافية والحضارية لمملكة مروي.

تقسيم البحث :-

لقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. وتحدثت المقدمة عن أسباب اختيار موضوعها لتبين أهميتها وما تحاول أن تلقيه من أضواء حول إبراز أهمية علم آثار الإستيطان (Settlement Archaeology) كفرع من فروع علم الآثار ودوره في توضيح الجوانب المختلفة التي يمكن أن تقدمها مواقع الإستيطان والمدن، وتبيان الدور المهم الذي لعبته المدن المروية في التعريف بالمملكة المروية التي تعد من أهم فترات التاريخ الثقافي والحضاري للسودان القديم، كما أبرزت مكانة المملكة المروية بين حضارات العالم القديم، وأبانت المقدمة أهداف الدراسة ومنهجيتها التي تحاول الإسهام في وضع منهجية متوازنة تؤكد خصوصية الحضارة المروية وسماتها المحلية.

وقد خصصت الدراسة فصلها الأول (ماهية المدن والإستيطان) لتناول جغرافية السكن أو ما يعرف بجغرافية العمران كفرع من فروع الجغرافية البشرية لشرح مصطلح (المركز العمراني) أو المستوطنة (Settlement)، شرحت من خلاله أسس التصنيف إلى مدن وريف، وبينت درجات العمران المختلفة بجانب النشوء المبكر لبعض مدن الحضارات القديمة.

كما تناولت في ذات الفصل شرح مفهوم أنماط الإستيطان (Concept of Settlement Patterns) وشرحت بعض محدداته، وأبانت دوره المهم في لفت النظر إلى الإهتمام بتطوير منهجية لدراسةٍ منتظمة للنظم الإجتماعية والإقتصادية للمجتمعات القديمة، وأشارت إلى الدراسات المتعلقة به وما تقدمه للآثاريين لبناء تفسيراتهم الآثارية لمعرفة علاقة نمط الإستيطان والأنماط المختلفة للثقافة.

أما الفصل الثاني فقد تحدث عن بداية نشوء الإستيطان في السودان القديم, من خلال مواقع المدن والمستوطنات الحضرية المروية في الجزء الشمالي من المملكة المروية.

الفصل الثالث فقد خصصته هذه الدراسة لمعرفة طبيعة المدن المروية جنوب العاصمة مروي من خلال (موقع دومة الحماداب) الذي يشكل أولى حالات الدراسة وقد خصص لشرح عمليات الإستكشاف الآثارية والتنقيب التي بدأت مؤخراً في الموقع وتعتبر معطياتها الأثرية هي ما انبنت عليه تفسيرات موقع المدينة المروية فيه باعتبارها أقرب المدن الحضرية إلى العاصمة مروي، وربما تكون أول الإحتمالات أمام الدارسين للحصول على خارطة طبوغرافية مكتملة لمدينة من مدن الريف المروي.

ويشكل (موقع الحصا) حالة الدراسة الثانية من هذا الفصل، وقد خصص لشرح أهمية هذا الموقع الحضري المروي في منطقة جزيرة مروي لربط الفكرة حول طبيعة منظومة شبكة المستوطنات المروية المنتشرة في محور شندي الآثاري، من خلال نتائج التنقيبات الآثارية التي بدأت فيه مؤخراً.

أما(موقع مويس) يشكل حالة الدراسة الثالثة، ويناقش نتائج آخر عمليات الإستكشافات الجارية عليه وقراءته ضمن منظومة المواقع المروية في إقليم مروي العاصمة.

والفصل الرابع (تحليل المدن) يهتم بتحديد طبيعة مدن حالات الدراسة من حيث التشابه والإختلاف من واقع اللُقى والمعثورات فى كل مدينة.

وخُتمت الدراسة بالنتائج التي توصلت لها والتوصيات التي خرجت بها، وأُضيفت قائمة بثبت المصادر والمراجع باللغة العربية واللغات الأجنبية.

الفصل الاول
ماهية المدن والإستيطان

تعتبر جغرافية السكن أو (جغرافية العمران) فرعاً من الجغرافية البشرية، وإن كان حديث النشأة بالمقارنة مع بقية فروع الجغرافية البشرية. ويمكن القول بأن بعض البدايات الأولى لجغرافية المدن قد ظهرت عند قدامى الجغرافيين مثل (سترابو) الذي يعتبر أول من وصلت إلينا كتاباته عن (الموقع) كعامل حاسم في توزيع شبكة المدن. (أحمد علي إسماعيل: 2005م : 12).

وكان للجغرافيين العرب دور هام في كتبهم عن (البلدان) والعمران، بحيث يمكن القول بأن (جغرافية العمران) تدين بأصولها لكثير من العلماء العرب والمسلمين، وبخاصة الإصطخري وابن حوقل واليعقوبي، ثم ابن خلدون الذي خصص فصولاً كثيرة في مقدمته لدراسة العمران والأقاليم الجغرافية وخصائص المدن والسكان. (ابن خلدون: 1911 ، 46–142).

وتنقسم (جغرافية العمران) إلى قسمين يُعنى أحدهما بدراسة جغرافية الريف ويهتم ثانيهما بدراسة جغرافية المدن، و الملاحظ أن الإهتمام بدراسة جغرافية المدن أكثر وضوحاً، ومجال دراسة كليهما هو جغرافية العمران التي تدرس المدينة والريف معاً أو (المحلات) التي تقابل مصطلح المركز العمراني أو المستوطنة البشرية (Settlement) (ابن منظور: 1956 ، 163). ويشمل مصطلح (الحضر) كلاً من المدينة والريف على حد سواء، إلا أن تعبير الحضر (urban) كثيراً ما يستخدم كمرادف للمدن، ويستخدم تعبير الحضري (Urbanite) لوصف ساكن المدينة، دون أن يضم الحضر كلاً من الريف والمدينة. وقد أصبح هذا الإستخدام الشائع يوحي بأن الحضر يقابل لغوياً الريف. ويرى الجغرافيون أن هذا الإستخدام غير صحيح في أساسه اللغوي، إذ

يرون أن الحضارة بمعناها الواسع هي نتيجة للإستقرار، ولذلك يفضلون اطلاق المصطلح (الحضر) على الريف والمدينة معاً (أحمد علي اسماعيل: 2005م ، 14:2).

ونحن نلحظ أن المصدر اللغوي لهما في كثير من اللغات الأوربية واحد، بل أن كلمة (culture) تشير إلي معنى الزراعة والحضارة في ذات الآن, كما يلحظ الإرتباط موجوداً بين الحاضرة والحضارة كذلك في اللغة العربية، والإستعانة بقواميس اللغات من شأنها تبيان تلك الصلات اللغوية.

أسس التصنيف إلى مدن وريف :-

لا توجد فروقات واضحة بين المدينة والريف إلا في أقصى درجات كل منهما، كما لا يوجد انتقال مفاجئ من أحدهما إلى الآخر، ولا هناك اتفاق على أسس تصنيف المستوطنات, إلا أن الباحثين قد اتفقوا على عدد من أسس التصنيف يرون أنها أساساً جيداً للتفرقة بين المراكز العمرانية وقد أوردوها على الوجه التالي :-

1- الأساس السكاني أو الديموغرافي.
2- الأساس الإقتصادي.
3- الأساس الإداري.
4- الأساس التاريخي.
5- الأساس الشكلي. (اسماعيل: 2005م : 17- 25).

1/ الأساس السكاني أو الديموغرافي :-

إن هذا الأساس يعتمد على اثنين من المتغيرات السكانية، يرتبط أولهما بالحجم (أي العدد الكلي للسكان) ويرتبط ثانيهما بالكثافة. لكننا نلاحظ بصورة عامة أن عدد السكان كأساس للتصنيف هو أساس قاصر، وللتدليل على ذلك يكفي أن نشير إلى أن نمو السكان لا يرتبط به بالضرورة تحول في

طبيعة المركز العمراني وصفته من محلية ريفية إلى محلية حضرية، أما الكثافة فإنها تتفاوت بين مختلف المستوطنات.

2/ الأساس الإقتصادي :-

يتعلق هذا الأساس بالوظيفة أو الوظائف التي تمارسها المستوطنات، ويعتبر هذا الأساس أكثر الأسس قبولاً بين الجغرافيين، فيرى (بويش) أن أهمية المدينة لا تتوقف عند المساحة التي تشغلها أو عدد سكانها، ولكنه يستند في المقام الأول على الوظيفة أو الوظائف التي تمارسها (Boecsh: 1964, 221). بل أن بعضهم يرى أن تعدد الأنشطة الإقتصادية هو الركيزة في التصنيف خاصة في المدن القديمة حينما كانت تنتج غذاءها وكان سكانها شبه مزارعين.

3/ الأساس الإداري :-

يعتمد على قرار إداري رسمي يحدد المستوطنات العمرانية التي تعتبر مدناً وتلك التي تعتبر ريفاً.

4/ الأساس التاريخي :-

ويرتبط هذا الأساس بنشأة المدينة ودورها في التاريخ، ويكون الأساس التاريخي محدوداً في التصنيف, إلا أنه يكون ضرورياً لفهم النمو العمراني في حالة الدراسات المنفردة للمدن أو في الدراسات المقارنة بينها.

5/ الأساس الشكلي :-

يعتمد على الملاحظة المباشرة، فالمدينة تختلف في مظهرها وشكلها الخارجي عن الريف, و بها من التنظيم المكاني ما يفرق بينها وبين الريف حيث توجد في المدينة عادة منطقة مركزية تتركز فيها الحياة والنشاط. (وسط البلد).

وتنبغي الإشارة إلى أن أي أساس من هذه الأسس لا يكفي منفرداً للتصنيف، فلابد من اتباع أكثر من أساس وبخاصة في حالة الدراسات المقارنة التي تشمل أقاليم جغرافية كبيرة تقطع الحدود الثقافية والإقتصادية والحضارية.

درجات العمران :-

نجد في اللغة العربية مصطلحات مثل: مدينة، بلدة، قرية، نجع، كفر، عزبة، حلة، محلة، نزلة، ضيعة، أبعادية وأحياناً يستخدم مصطلح ربع، وفي اللغة الإنجليزية نجد كلاً من: City, village, Hamlet, Farmstead, place, Ranch إلى جانب كل من: Megalopolis, Metropolis. وإذا كان هناك – كما أشرنا من قبل – نطاق انتقالي بين الريف والمدينة Rural-Urban Fringe في كثير من الأقطار، فإن ذلك كله يضيف صعوبات في تحديد مجال جغرافية المدن مما يزيد من صعوبة دراسة فئات المراكز العمرانية، بيد أن تصنيف مراكز العمران إلى درجات وفئات يمكن اعتباره نواةً لأي عمليات مسح تخدم أهداف الدراسة أو التخطيط على مستوى الإقليم، سواءً في ذلك أقاليم المدن التاريخية القديمة، أو القائمة اليوم، أو حتى تلك التي يراد إنشاؤها، ولأغراض الدراسة نشير هنا تفصيلاً إلى فئتي القرية والمدينة.

القرية :-

وهي قد تحمل اسم النزلة أو الكفر، وأحياناً الحِلَّة في بعض أجزاء السودان، ويقابلها في الإنجليزية (Village)، وقد سبقت مناقشة أن اتخاذ حجم السكان كأساس لتحديد القرية وتمييزها عن المدينة قد لا يكون صحيحاً، بل أن البعض يرى أن الفروق الوظيفية ليست حاسمة بالضرورة بين المدينة والقرية، ويضربون مثالاً لذلك بما يعرف بمدن المزارعين (Agrovilles) في روسيا والمجر، فهي مستوطنات تُعد مدناً يعمل سكانها غالباً بالزراعة أو بأنشطة

مرتبطة بها، ونجد بعض أمثلة لذلك في أقطار جنوب أوربا (Hudson: 1970, 8-9).

ويمكن أن نميز عادةً بين نمطين من القرى على النحو التالي :-

أ/ القرى المنعزلة :-

وتوجد عادةً حيث الملكيات الزراعية الواسعة، أو في المناطق التي لا تسمح فيها موارد المياه بوجود مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية.

ب/ القرى المتكتلة :-

وهي تمتاز بكثرة عدد السكان في القرية الواحدة، بعكس القرى المنعزلة، وتنتشر في بيئات الحضارات الزراعية القديمة في السهول الفيضية, لذلك توجد في الريف على امتداد وادي النيل والعراق والهند، كما توجد أيضاً في الصين، وغالباً ما تتركز المنطقة المبنية من القرية، والتي تضم المساكن والحظائر في كتلة واحدة، بينما تكون الأراضي الزراعية خالية – تقريباً – من السكان.

وقد ظهرت القرى في وادي النيل منذ أن مارس الإنسان الزراعة المستقرة، وكان من الضروري له أن يسيطر على النيل ومجاري الأودية الموسمية وفروعه، وقد تطلب ذلك تنظيماً اجتماعياً وسياسياً للسكان، ولما كان الجفاف قد بدأ يسود الصحاري في العصر الحجري الحديث – منذ قرابة عشرة آلاف عام – فقد بدأت بعض القرى الباكرة بعيداً عن النهر تفادياً للغرق في موسم الفيضان – ربما – ولكنها كانت أيضاً في حاجة مستمرة للمياه ، لهذا لم تكن تبعد كثيراً عن النيل، فوضعت القرى الأولى عند رؤوس الأودية الفرعية، حيث حققت بهذا الموضع بعداً عن النهر من خطر الفيضان، وقرباً من مصادر المياه، وتجنباً للسيول المفاجئة، ولذلك نجد أن مواقع الحضارات القديمة في وادي النيل تكاد تكون متماثلة، وكلما تقدمت المهارات والخبرات التكنولوجية

للقرى وازدادت بالقدر الذي يمكنها من التحكم في مياه الفيضان والأمطار والسيطرة على النهر، كانت مواضع القرى تقترب أكثر من النيل حتى تمكنت في الفترات المتأخرة من استئناسه كليةً.

المدينة :-

وهي أكبر المستوطنات العمرانية، سواء من حيث عدد السكان أو المساحات المبنية أو تعدد الوظائف التي تمارسها، ومع ذلك توجد درجات متعددة للمدن. ويطلق على المدن التي تلعب دوراً كبير الأثر في أقاليمها تعبير (المدينة الأم) (Metropolis)، وقد تكون هذه المدن الأمهات عواصم إقليمية أو وطنية وربما تكون مدناً ذات تأثير (عالمي) في مختلف الفترات.

ويوجد في بعض الأقاليم والمناطق شبه اتصال بين المناطق المبنية في رقعة جغرافية صغيرة تتجاور فيها المدن بحيث تتلاحم، وهنا يظهر ما يطلق عليه المجمع المديني (Conurbation). وقد ظهرت إلى جانب المدن الكبيرة مدن توابع (Sattelite Towns) تعتمد على المدن الأكبر التي تجاورها في كثير من شئون حياتها وحياة سكانها، وهي في ذلك قريبة الشبه بالضواحي (Suburbs) التي لا تكاد توجد مدينة كبيرة في عالم اليوم (أو الأمس) دون أن تضم بعضاً منها . (إسماعيل: 2005م ، 35).

نشأة المدن القديمة :-

إن دراسة النشوء المبكر للمدن يبدو أمراً صعباً، ذلك أن الباحث لا يجد كثيراً من العوامل المعينة له. والكثير جداً من المدن القديمة صار آثاراً منطمرة تحت العمران الحالي، إلا أن القليل من المستوطنات العمرانية القديمة له آثار متفرقة تلقي بعض الضوء على صورة العمران القديم، وكثيراً ما يطلق علماء الآثار مصطلح (مدينة) على آثار مستوطنات مندرسة، دون أن يجد الجغرافي – مثلاً – مبرراً لإضفاء صفة المدينة على تلك المستوطنات. ويرى

كثير من الباحثين أن المدن الأولى في تاريخ البشرية قد نشأت في حوض البحر المتوسط في جنوب غرب آسيا وبلاد الرافدين ووادي النيل، على اختلاف بين أي الأقطار الحالية شهد أولى هذه المدن، ذلك بجانب الحضارات الأخرى التي شهدت عدداً من المدن الباكرة في أودية أنهار السند والهوانجهو. (إسماعيل: 2005م ، 37).

ويمكن القول أن الفترة بين الألف السادسة والألف الخامسة قبل الميلاد، ربما شهدت البواكير الأولى لظهور المستوطنات العمرانية ذات الخصائص المدنية، وقد حدث ذلك نتيجة لبعض التحولات التي يسرت قيام هذه المستوطنات المدنية، ومن أهم هذه التحولات الكتابة والإحصاء، الإهتداء إلى التقويم الشمسي، قيام السلطة المركزية وبداية التوصل إلى القوانين العلمية. كما أن وجود الفائض في الغذاء أو الوفرة كان ثمرة لظهور التخصص الوظيفي (Specialization) وتقسيم العمل (Division of labour)، ونشير هنا إلى أن الفائض لا يعني بالضرورة فائضاً مادياً، فقد يكون معنوياً أو اجتماعياً، فإلى جانب الفائض المادي في صورة المنتوجات الزائدة عن حاجة استهلاك المجتمع، توفر فائض في الوقت نتيجة لاستخدام أساليب انتاج أكثر تطوراً، وأدى ذلك بالضرورة إلى تخصيص جزء من وقت الإنسان الفرد يمارس فيه أنشطة تظهر فيها ملكاته الفكرية، وصاحب ذلك تقدم في الفن والعلم والأدب، وبدأ بعض أفراد المجتمع يخصصون جزءاً من وقتهم لخدمة المجتمع كله دون حاجة لتوفير غذائهم بأنفسهم. (Childe: 1971, 100, 139-140).

وقد كان نظام الري في وادي النيل القديم نتيجة تنظيم اجتماعي متطور وأثمر تفاوتاً بين أفراد المجتمع، ولم يكن ذلك ممكناً في غياب سلطة مركزية، إذ كان من الضروري وجود تنظيم سياسي إلى جانب التنظيم الإجتماعي. وربما تكون هذه التحولات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية قد

أخذت في التأصل في المجتمعات النهرية في كل من وادي النيل والعراق وشبه القارة الهندية وفي الصين. وكان ذلك غالباً في بداية الألف الثالثة للميلاد، وهذا التاريخ هو الذي يمكن اعتباره بداية لنشوء المدن الباكرة بالمعنى الصحيح.

وإذا كانت التحولات التي لا تخرج عن كونها صوراً لتطور وسائل الإنسان، هي التي أدت الى التطور العمراني لمدن الإنسان المبكرة، فإن عوامل البيئة الطبيعية والبشرية معاً، كانت تحد من أعداد المدن الباكرة وأحجامها، وعلى نحو خاص كان ذلك يؤثر في كميات الغذاء وغيرها من المواد الخام، كما كانت العوامل السياسية تحد من أحجام المدن وامتداد أقاليمها، ذلك لأن صعوبة النقل والمواصلات وتعدد الثقافات السكانية جعلت الوحدات السياسية الأصغر ودويلات المدن أكثر مناسبة من الدول الكبيرة نسبياً، وكانت أقاليم المدن تتحدد بمدى اتساع الإقليم الذي يمكن أن تسيطر عليه المدينة وتمارس نفوذها فيه، كما كان الخوف من الثورة أو التمرد مانعاً من امتداد أقاليم المدن بعيداً عن سلطتها المركزية (Davis Kingsley: 1965, 59-60).

مدن الحضارات القديمة :-

1/ مدن وادي النيل :-

لعل من أقدم المدن التي نشأت في موطن حضارات العالم القديم هي تلك التي نشأت في وادي النيل، وقد ارتبطت المدن هنا بالدين الذي يمكن اعتباره عنصر التمييز الرئيسي بين المدينة والقرية. فقد كان المعبد – مثلاً – يمثل مركز الحياة والعمران في المدينة، وكانت المدينة تنمو وتمتد من حوله، وكان وجود آلهة محلية للمقاطعات عاملاً مهماً في نشوء المدن الإقليمية بمعابدها، وكان المعبد أو مقر الإله يقوم في وسط العواصم الإقليمية في مبنى شامخ عظيم الجدران يشرف على الأبنية من حوله، وعلى الحقول المحيطة به.

وكانت علامة المدينة أو نوت (niwt) في اللغة المصرية القديمة عبارة عن خطين متقاطعين بزوايا قائمة وتحيط بهما دائرة.

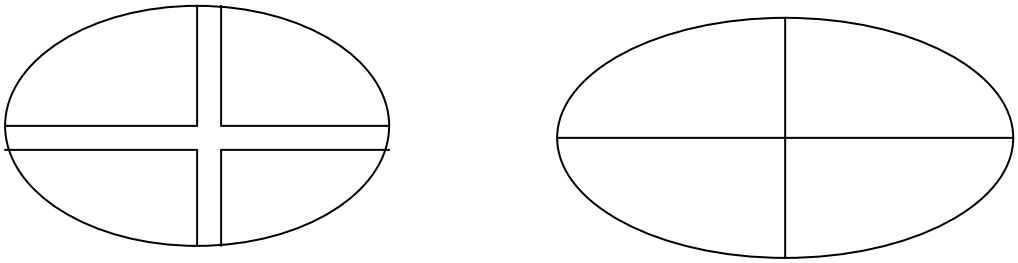

ويرى علماء الآثار واللغة المصرية القديمة أن الرسم يشير إلى أن المدينة تقع في نقطة تتقاطع عندها الطرق، وأنها محاطة بسور أو سياج دائري يحميها من أخطار الفيضان ويحمي سكانها من الأعداء. (سليم حسن: 1940: 146-148 .Badawy: 1948: 57)

وكانت تقوم في المدينة مخازن كبيرة خصص بعضها لحفظ الغلال وبعضها الآخر للآلات والأدوات الزراعية، كما كانت تضم ورشاً لأصحاب الحرف، وتوجد دكاكينها التجارية حول ميدان عام يمثل السوق، وفي وسط المدينة يوجد المعبد وبجواره قصر الحاكم (أو الأمير) والمباني الإدارية. (سليم حسن: 1940: 170).

وإذا ناقشنا فكرة (علامة المدينة) في اللغة المصرية القديمة، فإننا نلحظ أن السور كان من المعالم الرئيسية في المدن المصرية القديمة، وعندما كانت إحدى القرى تتطور، إما بتأثير العوامل التجارية السلمية، أو بطريقة السيطرة الحربية، كانت الأسوار تحيط بها لتحميها (إسماعيل: سابق: 40).

وهناك تفسيرات متعددة لعلامة المدينة، منها أنها تعكس خصائص المدينة في تلاقي العناصر المادية من طرق ومتاجر، إلى جانب أنها ملتقى الأفكار، وإن الدائرة إما خندق وإما سور (أو كلاهما معاً) وهي تعني الحاجز النفسي والخلقي

الذي يحمي مجتمع المدينة عما حوله. وبذا فإن علامة المدينة تعني المواصلات إلى جانب الإلفة. ولكن مثل هذه التفسيرات لا ينبغي لها أن تدفعنا إلى التطرف في الفهم فنخرج بانطباع خاطئ مؤداه أن الدائرة أو الأسوار التي تحيط بالمدينة تمثل نهايةً للطرق المتقاطعة في داخلها وتحول بين امتداد هذه الطرق خارج المدينة، لأن ذلك من شأنه القضاء على فكرة المدينة كمكان لتلاقي الطرق التي تصب فيها من الأجزاء المجاورة، وبمعنى آخر، فإن تقاطع الطرق في المدينة يعني تجمعاً للطرق الخارجة من الإقليم المحيط بالمدينة متجهة إلى تلك المدينة.

وتعتمد المدينة – منذ أن ظهرت كشكل عمراني – على الريف في علاقات متبادلة يحدد مداها إقليم المدينة أو مجال نفوذها، وإذا كانت القاعدة هي العلاقات الإقليمية المحلية، فإن تطور فكرة الدول وظهور الإمبراطوريات أدى إلى أن أصبحت لعواصمها فيما بعد علاقات فوق قارية (Jones: 1970: 7-10).

وقد أدى استخدام الطين اللبن كمادة للبناء في المدن القديمة إلى انطمار معظمها واختفائها تحت مستوى الأرض الزراعية أو العمران اللاحق وتحولت إلى أطلال وتلال من الأتربة تختلط بها بعض بقايا من قطع الفخار، كما أدت رغبة الفلاحين في الحصول على السماد، إلى جانب العمليات غير المنتظمة في التنقيب عن الآثار وإزالة الأحجار أو الطوب لإعادة استخدامه في البناء الجديد إلى مزيد من الغموض في الملامح القليلة المتبقية من المدن القديمة، ومع ذلك يمكن أن نعرف شيئاً عن بعض هذه المدن. المدن الفينيقية (الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط)، مثلاً بيبلوس، صبن ... الخ وتأثيرها على المدن اليونانية والرومانية.

2/ المدن الفينيقية :-

بلاد الفينيقيين أطلقت على المنطقة الساحلية الواقعة شرق البحر المتوسط، والتي تعرف الآن بالساحل السوري، وهي شريط ضيق من الأراضي التي يبلغ طولها حوالي مائة ميل وعرضها حوالي عشرة أميال، وتختلف الروايات حول أصلهم ويرجح كثير من المؤرخين انحدارهم من أصل سامي, ويركز المؤرخ الإغريقي هيرودوت على أن علماء مدينة صور إحدى المدن الفينيقية, يعتقدون أن أجدادهم ربما قدموا إلى هذه المنطقة من شواطئ الخليج الفارسي وشيدوا هذه المدينة في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد (فيليب حتي، 1958م).

إن أقدم الأسماء التي أطلقت على المنطقة (بلاد سوريا وفلسطين) هو بلاد كنعان (Cananites)، والتي يرى بعض المؤرخين أنها لغة سورية الأصل وهم عنصر سامي ذو علاقة بالعناصر السكانية التي كانت تقطن بلاد القوقاز. وكان الهكسوس الذين حكموا مصر في الفترة الوسيطة الثانية (بين الأسر 14–17) يؤلفون جزءاً منهم، وانتشروا في البلاد حتى أطلق عليهم المصريون كنعان (أخورو أو حورو) (فيليب حتي، 1958م) وكنعان ربما كان معناها بلاد الأرجوان (في الوثائق المصرية كنجي) وصارت في اللغة الأكدية كنعيين وفي اللغة الفينيقية كنع، وفي العبرية كنعان، ويذكر في بعض المصادر أن الأرجوان هو صبغ شديد الحمرة وهو فارسي معرب (بالفارسية أرغون) أما الإغريق فقد أطلقوا على الشعب الذي يسكن هذه المنطقة فونكس (Phoinix) وعلى البلاد اسم فينيقيا (Phonecia)، وتعني اللون الأحمر وهو الصبغ الذي كان سلعة تجارية في المنطقة والتي كانت تستخرج من حيوان بحري رخوي يسمى المريق (Murex) يعيش قرب الشاطئ الفينيقي وشواطئ البحر المتوسط. ويرى فريق آخر من الباحثين أن فينيقيا تعني المنخفض من الأرض

نسبة للطبيعة الجغرافية التي تميزت بالأراضي المنخفضة التي تفصلها الجبال (Harden, 1980).

إشتهر الفينيقيون بالتجارة وصناعة البحر، حيث استطاعوا بخيراتهم السيطرة على الملاحة والنقل البحري بسفنهم المصنوعة من خشب الأرز. ومن أقدم الدلائل المادية التي تصور هذه السفن رسومات الفراعنة التي ترجع لحوالي سنة 4700 ق.م، حيث كانت هذه المنطقة إحدى مناطق السيطرة الفرعونية، التي تحرروا من قبضتها حوالي عام 2700 ق.م عندما انشغل فراعنة مصر بأمورهم ومشاكلهم الداخلية (الثورة الدينية في عهد أمينوفس الرابع – إخناتون) وحينها فرض الفينيقيون سيطرتهم على التجارة الدولية، وصاروا سادة البحر الأبيض المتوسط كما أنشأوا الطرق البرية التي تربط الساحل حيث موانئهم وبين القواعد التجارية على الخليج الفارسي، الذي تدل بعض المخلفات الأثرية في بعض المواقع فيه على الأصول الفينيقية مما يؤكد سيطرتهم على تجارة الخليج، هذا بالإضافة إلى أن بعض أسماء المدن الفينيقية سميت بها بعض مدن الخليج الفارسي كمدينة صيدا ومدينة صور. وكان لهم نشاط تجاري هام أيضاً مع بعض المدن المصرية في الدلتا (في عهد الأسرة العشرين المصرية)، وأقاموا العديد من المراكز التجارية الحصينة والحاميات على سواحل البحر الأبيض المتوسط كموانئ ومراسٍ لشحن وتفريغ وتمويل السفن، وصارت لاحقاً مدناً تجارية كبرى ذات كثافة سكانية عالية ، كمدن قادس بأسبانيا وقرطاجنة في تونس، وكل هذه المراكز كانت خارج نطاق تمركزهم الأساسي على الساحل السوري.

لقد أقام الفينيقيون عدة مدن محصنة ضد الغارات الخارجية المتوقعة من قبل الفراعنة والحيثيين (Hittites)، ومن أهم وأشهر هذه المدن من واقع المصادر والحفريات الآثارية، مدن جبيل وصور وصيدا، ومنها جابوا

الموانئ والمراكز التجارية في العالم القديم (حوض البحر المتوسط والخليج الفارسي على سبيل المثال)، وربما طافوا حول أفريقيا وكونوا مستعمرات لهم في المغرب والأندلس إضافة إلى جزر البحر المتوسط (قبرص، رودس وكريت). (عمر الصغير، 1979م).

واشتهر الفينيقيون بالتجارة الواسعة وصناعة الأصباغ شديدة الحمرة (الأرجوانية) وأجادوا صناعة النسيج والزجاج والخزف والحلي والجواهر، وقد ذاع صيتهم أيضاً بصناعة السفن مما جعل الفرس يستغلونهم في صناعتها لاحقاً، كذلك صنعوا الأسلحة وعرفوا التعدين. ومن ناحية الفنون والعمارة كانت لهم إسهاماتهم المقدرة، وهم الذين شيدوا هيكل سليمان وقصره كما كانت لهم معرفة وإجادة بصناعة الآلات الموسيقية وفن الموسيقى عموماً. ومن أهم إسهاماتهم الحضارية أيضاً استخدامهم للحروف الهجائية في الكتابة حيث كانت بدايتها عندهم متأثرة بالكتابة المصرية (الهيروغليفية الصورية)، واتخذوا رموزاً تمثل حروفاً صحيحة عوضاً عن صور الكتابة المصرية القديمة، وأعطوها أسماءً سامية حسب أصوات لغتهم السامية، وأخذ عنهم وتعلم منهم اليونان استخدام الحروف الهجائية، وكان لهم الفضل الكبير في ترقية الكتابة ومعرفتها في بلاد الإغريق (Harden, 1980).

أما من الناحية الدينية، ومن واقع انفتاحهم على العالم الخارجي، فقد تأثروا بالأفكار والمعتقدات الدينية في وادي النيل، وبلاد ما بين الرافدين فكانوا يعبدون قوى الطبيعة وخاصة إله السماء وإله الأرض ويقال أنهم آمنوا بعبادة التوحيد أي عبادة الرب الواحد (نقلوها عن اليهود)، الذي ضم في شخصيته كل الآلهة المعبودة.

وعليه ومن واقع وجودهم في تلك المنطقة الساحلية الإستراتيجية، كونوا علاقات واسعة مع العديد من الشعوب على أسس تجارية (حوض البحر

المتوسط، وادي النيل، بلاد الرافدين، الخليج الفارسي، غرب أوروبا ...الخ) فتأثروا بحضارات تلك الشعوب ونقلوا العديد من المظاهر الحضارية والتراثية في تلك البلدان والأمم وخاصة البلدان الأوروبية والأفريقية، وتمثل مستعمرة قرطاجنة بتونس التي أسسوها خير مثال لذلك النشاط وقد كان لها دور مرموق في محيط التنافس للسيطرة على تجارة البحر المتوسط ، خاصة مع الإمبراطورية الرومانية. (عمر الصغير، 1979م).

3/ المدن اليونانية والرومانية :-

تمثل المدن اليونانية والرومانية مرحلة تالية في تطور سُكْنى المدن، وإذا كانت أقدم المدن قد نشأت في مواطن الحضارات النهرية القديمة في وادي النيل وبلاد الرافدين وكل من الهند والصين، فإن ثقل الحضارة قد انتقل إلى بلاد الإغريق والرومان، وأصبحت جزر بحر إيجة واليونان وروما مراكز اشعاع حضاري، وقد نشأت في هذه المواطن في بداية الأمر دويلات صغيرة حول المدن، ثم توسعت مما أدى إلى نشر خصائص المدن الإغريقية ثم الرومانية من بعد ذلك. (إسماعيل: سابق: 50-51).

4/ المدن اليونانية :-

تعتبر أثينا أكثر المدن الأوربية القديمة أثراً من الناحية الحضارية وهي تقع في سهل أتيكا (Attica) الأوسط، وتحيط بها المرتفعات من كل ناحية فيما عدا الجنوب الذي يتصل بالبحر على بعد حوالي عشرة كيلومترات (إسماعيل: نفسه).

وكانت أثينا مقسمة إلى ثلاثة أقسام: أولها الاكروبوليس وأحياناً يطلق عليه Polis فقط وهي القلعة أو المدينة الأصلية، وثانيهما هو المدينة العليا، وثالثهما هو الميناء أو بيريه (Pieraecus)، وكانت تحيط بالميناء تحصينات، وتربطها بالمدينة العليا أسوار طويلة، ويمكن القول أن أثينا كانت

مركبة من مدينتين معاً يصل محيط كل منهما إلى اثنى عشر كيلومتراً، ويربطهما طريق طوله يصل إلى سبعة كيلومترات وتتخلل أسوارها بوابات عديدة (Smith:1973:255-263).

وكانت المدينة اليونانية (Polis) محدودة في حجمها عادةً، لأنها انعكاس اجتماعي للفكر الإغريقي، وفي رأي (أرسطو) أن الشر صورة اللامحدود أما الخير فله حدود واضحة وبهذا كان تحديد حجم المدينة نابعاً من المثل الأخلاقية اليونانية، و نتيجة لذلك فان المدن اليونانية كانت تخضع لحد أقصى من النمو، إذا تجاوزته تطلب ذلك إنشاء مدينة جديدة، حتى أن سيراكوس (Syracuse) في أوج ازدهارها أصبحت مكونة من خمس مدن يحيط بكل منها سور لذلك أطلق عليها (استرابو) المدينة الخماسية (Pentapdis). (إسماعيل:سابق: 53).

ولما كانت الحياة في المدينة اليونانية تمارس خارج المساكن التي كانت دوراً متلاصقة، فقد اكتسبت الاجورا (Agora) التي تعني في الأصل (الجمعية) أو (مكان الاجتماع) مكاناً مهماً في تلك المدن، ثم ما لبثت أن تحولت فيما بعد إلى سوق (Gutkind:1962:16-18).

وبدأت – قبيل العهد المسيحي – تظهر بواكير التخطيط الشبكي، أو تخطيط رقاع الشطرنج، الذي ينسب عادة إلى هيبوداموس (Hippodamus) وتقوم فكرته على أساس تعامد الشوارع على بعضها وتقاطعها بزوايا قائمة، وظلت فكرة التخطيط الشبكي سائدة لفترة طويلة جداً، خاصة بعد أن انتقلت إلى خارج بلاد اليونان مع فتوحات الأسكندر الأكبر حوالي 333 قبل الميلاد (Taylor:1968:121). كما أن اتساع رقعة الإمبراطورية – خاصة بعد فتوحات الأسكندر الأكبر – قد أدى إلى ضرورة وجود مدن حكمة تمارس وظيفة الإدارة، وأبرز مثال لذلك هو مدينة الأسكندرية

في مصر التي نمت بسرعة هائلة وازدهرت حتى أنها كانت تغطي مساحة قدرها 2200 فدان في عام 100 قبل الميلاد، أي بعد وفاة الأسكندر بأقل من قرنين ونصف القرن (Johnson:1970:6-7).

5/ المدن الرومانية :-

كانت المدينة الرومانية تأخذ غالباً شكل المستطيل أو المربع، وغالباً ما كان يقطع المدينة طريقان رئيسيان يتعامدان على الجهات الأصلية وتتقاطع معهما الشوارع الفرعية، وهي نفس فكرة التخطيط الشبكي، ويوجد عند تقاطع الشارعين الرئيسيين الميدان الرئيسي الفورم (Forum)، وهو الميدان الذي يمثل قلب المدينة الرومانية، وتوجد فيه المعابد والأسواق ومراكز الحكم والإدارة، كما كانت تعقد به الإجتماعات السياسية. ومن المعالم الأخرى في المدينة الرومانية الحمام والمسرح الدائري (Amphitheatre) الذي كان سمة أساسية لمعظم المدن الرومانية (إسماعيل:سابق:57-58).

ومن المدن الشهيرة بومبي (Pompeii)، التي تستحق ذكراً خاصاً لأنها تكاد أن تكون قد وصلت إلينا بحالتها التي كانت عليها، فهي تقع عند سفح بركان فيزوف، وقد تعرضت للإنطمار تحت الرماد البركاني أثر ثورة البركان في عام 79 قبل الميلاد، وقد كشفت الحفريات عن كثير من معالمها الأصلية بعد أن ظلت مدفونة عشرين قرناً حين بدأت أعمال التنقيب عنها في مطلع القرن التاسع عشر. (إسماعيل: نفسه).

أما مدينة روما فهي تقع على الشاطئ الجنوبي لنهر التيبر (Tiber) الصالح للملاحة حتى أن كثيراً من السفن كانت تحمل البضائع وتعرضها في سوق الفورم مباشرة، ويقال أن كلمة روما تشير إلى التربة الحمراء التي أرسبها نهر التيبر حول المدينة. وكانت روما – التي يطلق عليها مدينة التلال السبعة – قد بدأت كحلة صغيرة حول تل بالاتين (Palatine) ثم سرعان

ما نمت واتصلت مبانيها بتلال اسكويلين (Esquiline) وكيليان (Caelian)، مما أدى إلى أن أصبحت قرية سابين (Sabine) ضاحية لروما، وكان الكابتول (Capitol) هو قلعة روما. وحول المدينة بني سور يصل سمكه إلى 60 سنتمتراً وارتفاعه 15 متراً تقريباً، كما حفر خارجه خندق اتساعه 30 متراً وعمقه 9 أمتار بقصد توفير حماية أكبر للمدينة. وفي أواخر القرن الثالث الميلادي بنى الأمبراطور أوريليان (Aurelian) سوراً كبيراً آخر حول روما، لا تزال بعض بقاياه قائمة حتى الآن، خاصة في جزئه الشمالي، وكان ارتفاع هذا السور 15 متراً وسمكه 3.5 متراً تقريباً، وكانت توجد على مسافات متساوية منه أبراج دفاعية (كل 15 متر تقريباً)، كما كانت تتخلل السور عدة بوابات (Taylor:op.cit:127-29).

وقد نقل الرومان حضارة المدن إلى كل أوربا وجنوب الدانوب وغرب الراين وعبر القنال الإنجليزي إلى بريطانيا، كما أقاموا سلسلة من القلاع والحصون على تخوم الأمبراطورية لمواجهة عدوان محتمل. كما أدخلوا كثيراً من الإضافات والتعديلات على المدن القديمة في امبراطوريتهم الواسعة، فانشأوا – مثلاً – طرابلس في ليبيا، وأدخلوا تعديلات كثيرة على الأسكندرية ذات الأصل اليوناني، كما أنشأوا في مصر كثيراً من المدن على سواحل البحر الأحمر، وكذلك أنشأوا القلزم عند حفر قناة تراجان، وقد ورثتها السويس الحالية، وأنشأوا في العراق والشام عدداً من المدن مثل حماة وحمص وفيلاديلفيا (عمان) وبالميرا (تدمر)، كما أنشأوا مدناً أخرى في الخليج العربي مثل خاراكس (Charax) (المحمرة). (جمال حمدان: 1972: 82–86)، وكانت هذه المدن جميعها ثغوراً صحراوية ترتبط بالطرق الرومانية الشهيرة ولعبت أدواراً مهمة في النشاط التجاري.

الضواحي :-

الضاحية (Suburb) هي امتداد حضري للمدينة، ولكنها ملحقة بها وليست في الغالب كياناً وظيفياً مستقلاً. وقد كان لبعض المراكز العمرانية القديمة ضواحٍ، وتعتبر الضاحية نمواً خارجياً للمدينة، ولهذا فإنها ترتبط أيضاً بقلب المدينة التجاري – خاصة في مدينة اليوم – كبقية أجزاء المدينة المركزية، وبذلك تكون الضاحية محلة بين المدينة والريف (إسماعيل:سابق:135-136).

وقد أدى التزايد المستمر في أعداد الضواحي إلى أن أصبح بعضها – الحديثة خاصة – يتخصص في إحدى الوظائف، بحيث تتكامل مع وظائف المدينة الرئيسية التي تقوم الضاحية إلى جوارها. (إسماعيل:نفسه:137-138).

وقد قسم (هاريس) الضواحي إلى خمسة أنماط على النحو التالي :-

- الضواحي الصناعية (تكثر فيها المصانع ويقل سكانها نسبياً).
- الضواحي الصناعية السكنية (تضم المصانع وسكن العاملين فيها).
- الضواحي السكنية أو المهاجع (لا يكون للصناعة فيها شأن كبير وتتفوق عليها الضواحي الصناعية).
- الضواحي المتنوعة (تكون فيها الضواحي الصناعية والسكنية أكثر شيوعاً).
- ضواحي التعدين (أمثلتها الضواحي الصناعية المتخصصة) (Harris: 1965:550-52).

التركيب الداخلي للمدينة :-

تهدف دراسة المدينة من الداخل إلى فهم العلاقات بين مختلف أوجه النشاط في المدينة، ومدى تفاعل العناصر المكونة لجغرافية المدينة الداخلية ويخدم ذلك كله في رسم صورة تشريحية للمدينة تؤدي إلى فهم مشكلاتها (إسماعيل:سابق:249).

وعلى الرغم من أن تركيب المدينة الداخلي هو نسيج بشري بالدرجة الأولى، إلا أن هذا النسيج يتباين من مدينة إلى أخرى بتأثير عدد من العناصر الطبيعية المرتبطة بالموضع، وكثيراً ما يؤدي اختلاف تفصيلات عناصر الموضع إلى صور مختلفة للنمو والوظائف واستخدامات الأراضي في المدن، ومن أبرز الجوانب الهامة في تركيب المدينة الداخلي الموضع.

الموضع :-

نقصد بالموضع كما يسميه الجغرافيون الـ (Site) أو البقعة التي تقوم فوقها المدينة، وبذلك فإن الموضع يمثل جزءً محدوداً من الموقع (Situation) الذي يبرز شبكة العلاقات الخارجية للمدينة وتتضمن عناصر الموضع دراسة السطح – الطبوغرافية – من حيث المناسيب وما يتعلق بالإنحدارات أو الميول التي قد توجد به (إسماعيل:نفسه).

وكثيراً ما يكون لدراسة التركيب الجيولوجي لموضع المدينة أهميته، فالجيولوجيا تفسر جوانب تتعلق بتركيب التربة وقوامها ومدى صلاحيتها للبناء، ومستوى الماء الباطني في موضع المدينة وأثره على بناء العمارة والمنشآت، والملاحظ أن خصائص الموضع شديدة المحلية، فلكل مدينة جوانبها الموضعية الخاصة بها والتي تؤثر في نموها وتطورها واستمراريتها، وهو أمر ينبغي أن يدرس مفصلاً في الدراسات المنفردة للمدن. وعلى سبيل المثال فإن المواضع النهرية قد تكون عرضة لتباين شديد، وإن وُحِّدَتْ بعض الملامح العامة للمدن النهرية ، ومن هذه الملامح العامة أن المدن النهرية تكون عادة في جانب واحد من النهر؟! وإن حدث أن امتدت إحدى المدن على ضفتي النهر، فإن النمو وحجم العمران وامتداده لا يكون متوازناً في كلتا الناحيتين، وكثيراً ما تتباين كذلك الإستخدامات ونوعية المباني على الضفاف المتقابلة (إسماعيل:نفسه:252).

وأقرب المواضع تقارباً في الخصائص مع المدن النهرية، تلك التي تقع فيها المدن على قنوات ملاحية طبيعية أو صناعية أو مصبات مائية واسعة، حيث تكون أوجه النشاط الإقتصادي فيها متشابهة ولكن ثمة فوارق ربما تظهر في الحجم بينها، وفي هذه الحالة نكون بصدد ظاهرة يطلق عليها الجغرافيون (المدن التوائم)، (إسماعيل:نفسه:253–254)، وهي قد تخضع لأكثر من وحدة سياسية أو تكون في دولة واحدة وهي القاعدة، كما هو الحال في المدن المروية القديمة في (الحماداب، الحصا، مويس) التي تشكل حالات الدراسة في هذه الدراسة.

أنماط الإستيطان :-

إن أول آثاري استخدم مفهوم أنماط الإستيطان (Concept of settlement patterns) هو غوردون ويلي (Gordon Willey) الذي نشر عام 1953م كتاب (أنماط إستيطان ما قبل التاريخ في وادي فيرو) (Prehistoric settlement patterns in the Viru valley) وقد عالج ويلي في هذا الكتاب أنماط الإستيطان كنقطة البدء الأساسية والإستراتيجية للتفسير الوظيفي للثقافات الآثارية التي تعكس البيئة الطبيعية ومستوى التقنية التي أحدثها الإنسان ارتباطاً بتلك البيئة (Willey;1953:1). شرح ويلي أنواع التنظيمات المختلفة للفعل والتحكم الإجتماعي الذي تحدثه الثقافة، وقد أصبح هذا الكتاب نقطة تحول أساسية في تطور النظرية في علم الآثار، فقد كان الاهتمام الأساسي لعلماء الآثار في القرن التاسع عشر هو وضع أطر عامة لعمليات التطور الثقافي، وتأكيد حدوث تلك التطورات الثقافية.

إن (أنماط الإستيطان) هو مفهوم جديد – نسبياً – يلفت النظر إلى الإهتمام بتطوير منهجية لدراسة منتظمة للنظم الإجتماعية والإقتصادية للمجتمعات القديمة. وهو النهج الذي يحاول دراسة النظام الذي شغل ويشغل

وفقاً له أعضاء المجتمع – المعين – الفضاءات المكانية، وهو التخطيط الذي انتشرت بمقتضاه المساكن، المحميات، الحقول، الأسواق، المعابد، القلاع والحصون والمدافن في الفضاء المكاني. ويمكننا وصف توزيع هذه العناصر كمستوى أساسي قامت عليه حياة المجتمع. فنمط الإستيطان بهذا الفهم هو انعكاس لمفاهيم اجتماعية للثقافات القديمة. ودراسة التغيرات في أنماط الإستيطان تصبح بالتالي دراسة لتطور النظم الاجتماعية والسياسية، بينما تمثل دراسة التغير في المراحل الآثارية – إلى حد كبير – دراسة للإختراعات وانتشار عناصر مختلفة من أشكال الثقافة المادية.

وبعد نشر كتاب غوردون ويلي تواترت الدراسات المتعلقة بمفهوم (نمط الإستيطان)، وقد اختلفت أنواع المجتمعات التي تمت دراستها وتباينت، من مجتمعات المجموعات الصغيرة المشتغلة بالصيد وجمع الثمار مثل مجتمعات الاسكيمو إلى المجتمعات الحضرية المركبة مثل مجتمعات المايا والخمير. ويمكن تقسيم وحدات الإستيطان التي تمت دراستها إلى مجموعات أولاها: يكون فيها بشكل أساسي مبنى أو (منشأة) أساسية واحدة (Individual structure)، وعادة ما تكون هذه المنشأة سكنية، وربما تكون معبداً أو مدافن تلية (Burial Mound)، ويمكننا من خلال دراسة هذه الإنشاءات، أن نعلم شيئاً عن طبيعة النظام الإجتماعي، كما أن مقارنة الأنواع المختلفة من طرق الإنشاء ربما تظهر طبقات مجتمعية مختلفة من السكان، أو ربما تظهر هذه المقارنات أهمية العناصر الدينية أو غير الدينية في المجتمع. أما الوحدة الثانية فتتمثل في توزيع المستوطنة المنفردة (Individual settlement) وهذه يمكن دراستها بملاحظة العلاقات المتقاربة لمفهوم النمط الإجتماعي كما تظهره الأدلة الآثارية وهو ما يسمى بالتعايش الإجتماعي (Face-to-face association) ويظهر ذلك الأمر بوضوح من خلال دراسة المجتمعات المبكرة حيث تشغل

مجموعة واحدة عدة أماكن أو معسكرات مختلفة خلال فترة معينة، أو يعثر على آثار أفرادها مبعثرة (متفرقة) بحكم بحثهم الدائم والمترحل عن الغذاء في مواسم معينة. والوحدة الصغيرة التي يمكن العثور عليها هنا هي النمط الذي وفقاً له يمكن معرفة حقيقة انتماء المستوطنات المنفردة لنفس المجتمع أو الثقافة، وهنا يمكن التعرف عليها فقط من وجهة النظر الجغرافية (أي من خلال انتشارها الجغرافي). ويسمى تريقر – على سبيل المثال – هذا النمط من الإستيطان بـ (Macro-settlement pattern) نمط الإستيطان الواسع. (Trigger:1965:2).

إن اتساع مفهوم نمط الإستيطان جعل بعض الدراسات المتعلقة به تنظر فيه من خلال منظورين: أولهما المنظور البيئي (Ecological)، وهو المنظور الذي ينبني على افتراض أن نمط الإستيطان يلحظ من خلال التداخل البسيط والعفوي أو الطبيعي بين البيئة (Environment) والتقنية (Technology). وهذا النوع من المحددات البيئية لا يتحكم في نمط الإستيطان فحسب، إنما يتحكم في مجمل النمط الثقافي (أي الثقافة) بشكل عام. وبهذا فإن المحكم البيئي ابتداءً هو دراسة للنمط الإستيطاني تبرز تأقلم المجتمع مع بيئته المتأثرة بالاستخدامات التقنية عليها. أما فيما يتعلق بالمنظور الثاني، فإن معطيات نمط الإستيطان تستخدم كفروض أساسية لدراسة النظم الإجتماعية والإقتصادية والدينية للمجتمعات (خاصة مجتمعات ما قبل التاريخ).

ويمكن القول بصورة عامة، إن الدراسات الأولى لأنماط الإستيطان حاولت دراسة مشكلات مثل حجم المواقع ونطاقات انتشارها الجغرافية، بينما ركزت الدراسات (اللاحقة) على دراسة الأنماط الإستيطانية داخل المواقع نفسها. ويبحث الآثاريون إذن ليظهروا العوامل التي أثرت في حجم المستوطنات وتوزيعها على الرقعة المعينة. وتختلف منهجية دراسة المواقع الأثرية اختلافاً

كبيراً، خاصة في المناطق التي ما زالت التقاليد الثقافية القديمة مستمرة فيها حتى الأوقات الحالية، حيث يمكن هنا إيضاح تفاصيل مختلفة لأنماط الإستيطان القديم بصورة مباشرة من خلال ملاحظة الثقافة الحية (اليوم)، حيث هنالك العديد من أنماط النظم الثقافية والإجتماعية والدينية يمكن إعادة بنائه بقدر كبير من الثقة. أما في المناطق التي لا يمكن فيها ملاحظة هذه الاستمرارية بصورة واضحة، فقد اتجه الآثاريون مؤخراً لبناء تفسيراتهم الآثارية استناداً على الدليل الإثنوغرافي.

تحديد أنماط الإستيطان :-

يمكن – من خلال دراسة أنماط الإستيطان – معرفة العلاقة بين نمط الإستيطان والأنماط المختلفة للثقافة. كما يمكن إيجاد الأسباب التي تجعل من الممكن تفسير الأنماط الثقافية من خلال دراسة الأنماط الإستيطانية أو العكس.

فإذا كان من الممكن تحديد العوامل الرئيسية المتحكمة في نمط معين من أنماط الإستيطان، وتمت ملاحظة تواتر هذه العوامل باستخدام المعطيات الآثارية، فإنه يصير من الممكن استخدام نفس هذا النموذج لتكوين معارف حول طبيعة تلك العناصر المتحكمة في نمط الإستيطان، وبالتالي في الثقافة المحددة، ويمكن بالتالي الخلوص إلى أن نمط الإستيطان هو شكل من أشكال الأنماط الثقافية.

وقد يبدو أمراً بديهياً أن أنماط الإستيطان في المجتمعات المركبة تبدو متعددة ومتنوعة ذلك بتنوع العوامل المختلفة المحددة لها. أما المجتمعات البدائية فربما تتكون من وحدة مجتمعية واحدة قد تكون متجانسة بشكل أو بآخر.

فالمباني الضخمة فيها – على سبيل المثال – أو الطقوسية، تكون نادرة جداً (إن وجدت على الإطلاق). وتأقلم المجتمعات المركبة مع بيئاتها يكون مبنياً عادة على قواعد واسعة ومختلفة، كما أن العناصر الثقافية المنبني عليها هذا التأقلم تكون أيضاً أكثر تنوعاً بعكس المجتمعات البدائية.

وتنعكس التنوعات الإنشائية (المعمارية) في المجتمعات المركبة في شكل معابد، قصور، قلاع وحصون، مساكن، مدن مسورة وقرى ريفية. ولابد من التأكيد على حقيقة أن أنماط الإستيطان في المجتمعات البدائية هي أيضاً نتاج لتأقلم تلك المجتمعات مع بيئاتها بعواملها المختلفة. وهو الأمر الذي ظهر بصورة واضحة في حضارات السودان القديمه.

ويشير تريقر إلى العوامل الإقتصادية (من تجارة – تقنية وتقسيم للعمل وعلاقات بين فئات المجتمع) بجانب النظم السياسية والمعتقدات الدينية والعوامل الديموغرافية، كعوامل مؤثرة في أنماط الإستيطان في السودان القديم (Trigger:1965:4).

إن التركيب العام وتوزيع وحدات البناء (Lay out) يعكس شيئاً عن النظام الإجتماعي وعن الوضع الإقتصادي، ولربما عكست بساطة شكل البناء مستوىً اقتصادياً أدنى أو ربما عكست مزاجاً غير ديني (Secular) تجاه البناء، فالمنزل (مثلاً) هو نتاج لتقليد ثقافي محكوم بقوى ذوقية من الماضي وبعوامل البيئة والمكان.

وقد كانت التجارة عبر مسافات بعيدة (Long-distance trade) هي العامل الرئيسي في نشوء ونهضة المدن الأوربية في العصور الوسطى، ومكنت السكان في المناطق الأخرى من الأقاليم الفقيرة من الإزدهار، وظهرت من ثم – ربما – بعض المدن المتحكمة في الطريق – بما يشبه المحطات الجمركية – لحماية التجارة على طول الطريق خاصة في المدن الدفاعية

التجارية في الإمبراطورية الرومانية. حيث تزدهر المدن كمحطات تراقب حركة التجارة وتنمو كمراكز إدارية، فيبنى فيها مقر الملك أو أمير كعين سياسية أكبر من كونها اقتصادية، وبفعل السند السياسي من الدولة تصبح هذه المدن عبارة عن نموذج لمقر الحاكم (العاصمة) بكل ما تحمل من ملامح. ومثال ذلك يظهر بوضوح في مدينة الحماداب المروية التي يجئ الحديث عنها تفصيلاً في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

ويؤثر المعتقد الديني تأثيراً كبيراً جداً في نمط الإستيطان، فالعبادة تتطلب نوعاً من المباني خاصاً، وبالطبع نوعاً خاصاً من البناء الخاص بالقائمين على العبادة (رجال الدين)، لذا تصبح المعابد والكنائس والأديرة والمساجد والخلاوي جزءاً من طبيعة الأرض (Landscape). وقد تنتج المعتقدات الدينية نوعاً متزايداً من الحياة المتكاملة في حياة المجتمع، مما يظهر كذلك في النمط الإجتماعي، وفي بعض الحالات تخطط المدن وفقاً لخارطة مقدسة (Divine plan) وهو الأمر الذي تناقشه هذه الدراسة من خلال معبدي مدينتي الحماداب والحصا المرويتين في فصليها التاليين على التوالي. ولا يمكن – بشكل عام – تجاهل المزاجين الديني والعلماني فيما يتعلق بالدين ودوره في التأثير على نمط الإستيطان.

وهناك العديد من المحددات المختلفة تتحكم في شكل ونوع ووظيفة الإنشاءات البنائية كنمط من أنماط الإستيطان في مختلف الثقافات. ففي بلاد الرافدين (Mesopotamia) – على سبيل المثال – نشأت المستوطنات الحضرية الواسعة في إطار دويلات متحاربة منذ فترات مبكرة، وفي مصر التي نشأت فيها دويلات ذات حدود واضحة منذ فجر الحضارة، ويبدو أنه لم تكن هناك حاجة لبناء مدن محصنة، كما لم تكن هناك حاجة فيها لمثل هذه الأغراض الوظيفية حتى في بناء المدن الصغيرة. وفي أواسط المكسيك

(Centeral Mexico)، فإن الأمر يبدو مشابهاً لبلاد الرافدين، فقد ظهرت حاجة ملحة لحماية المستوطنات الحضرية، وقد مورست هناك وازدهرت – ربما – مراكز تجارة إقليمية على نطاق واسع. أما في إقليم أراضي المايا المنخفضة (Lowland Maya)، فإن هذا الإتجاه يبدو ضعيفاً (Tigger:1965:8).

وإذا كانت أنماط الإستيطان هي درجات من المعطيات المتوفرة للتحليل من خلال مناهج وأطر مختلفة، فإنها تمثل أيضاً مادة للشرح والفهم المتكامل – ربما – الذي يتطلب بدوره اختبارات آثارية عديدة. فدراسات متخصصة في مجال التقنية، التجارة، الصناعات، والدين في الثقافات الآثارية من شأنها أن تساعد في توضيح العلاقات بين نمط الإستيطان وبين العوامل التي تحكمه أو تحدده. واستخدام نمط الإستيطان كأحدى المعطيات الآثارية، يمكّن الآثاري من أن يخلص إلى حقائق محددة حول بعض جوانب المجتمع ذات العلاقة بنمط الإستيطان، كما أن انعدام المعطيات الآثارية (البحتة) أو قلة توفرها في السجل الآثاري يجعل دراسة نمط الإستيطان هي الدليل الذي يلجأ إليه الآثاري لربط نتائجه، وبذلك فإن نمط الإستيطان يعطي الآثاري وحدة في تنوع معطياته العديدة لإعادة تركيب أنماط المجتمع القديم. فيمكن – بالتالي – اعتبار نمط الإستيطان – من الوجهة النظرية – حجر الزاوية في تفسير معطيات علم الآثار.

ولعل من نافلة القول التأكيد على أهمية المدى المكاني الذي ينبغي على الآثاري أن يبحث فيه عن أنماط الإستيطان، حيث يتطلب الأمر الإعتماد ليس فقط على المهارة في الحقل الميداني الآثاري (Archaeological field)، ولكن يتوجب الإستناد كذلك على فهم جيد ومتزايد لطبيعة المجتمعين (الآثاري والحي). فبعض أنماط محددة من الثقافة يتوقع أن تترك آثاراً واضحة على نمط الإستيطان أكثر من غيرها من الأنماط، إلا أن العوامل المحددة لها

ربما تتنوع اعتماداً على نوع المستوطنة التي تتم دراستها، واعتماداً كذلك على المجتمع المعين موضوع الدراسة.

الفصل الثاني

بداية ونشوء الإستيطان في السودان القديم

لقد وفرت جغرافية السودان العامل الأهم لنشوء المراكز الحضرية، وحققت بالتالي للمجتمع ترابطه ووحدته العضوية، حيث وفرت الطبيعة للسكان المزارعين استفادة واسعة من النهر لاستغلال ضفافه والمناطق الطموية على شاطئيه خريطة رقم(1).

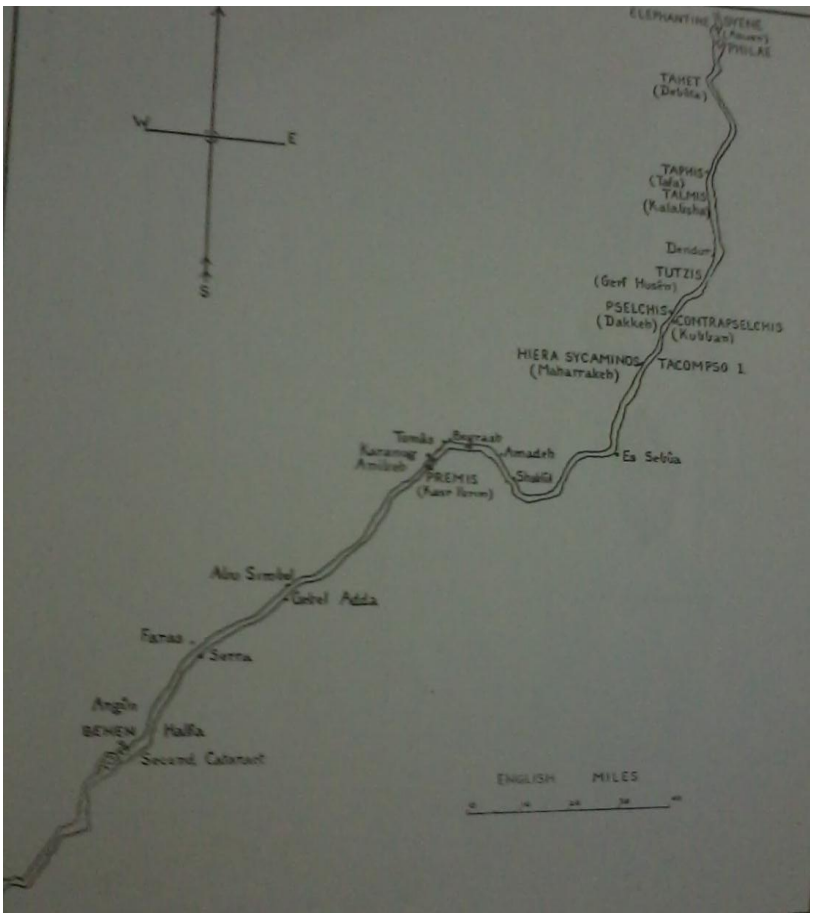

خريطة (1): المنطقة بين أسوان والشلال الثاني

عن(Woolley and Mac Iver:1910, vol.iv)

ويبدو أن المجتمعات المركبة التي نشأت في السودان القديم خاصة في الفترة المتأخرة قد اعتمدت بدرجة عالية على التجارة. وقد تنوعت المراكز المتخصصة وظيفياً من قلاع أو أبراج ارتبطت بالتجارة أو التواصل

النهري، إلى التعدين، إلى مراكز ذات طبيعة عسكرية أو إدارية أو تعبدية (طقوسية).

وتواجه دراسة نمط حياة المجتمع وتوزيعات المستوطنات السكانية في السودان القديم صعوبات بالغة، ذلك لأن غالبية المعطيات الأثرية المتوفرة – حتى الآن – جمع معظمها من المدافن أكثر من كونها مواقع سكنية، وما يزيد من صعوبة الأمر عدم وجود تجانس في العديد من الحالات بين المساكن والمدافن، حيث نجد في الكثير من الحالات أن مجموعات من المجتمع تشترك في جبانة واحدة أو العكس، حيث نجد مجموعة اجتماعية واحدة لها العديد من المدافن. وهذا على الرغم من أن الجبانة تقدم دليلاً جيداً على أن المنطقة قد سُكنت، إلا أنها لا تعطي فكرة واضحة عن نمط حياة المجتمع. وقد بدا أن غالبية مستوطنات السودان المبكرة كانت صغيرة وافتقرت لمنازل دائمة الإنشاء ومتفرقة. وبدأ يتم التعرف مؤخراً على منازل غرفها مربعة ومبنية من الحجر في عافية (Afyeh). على سبيل المثال – وكان تريقر قد اقترح أن هذه القرية ربما كانت مقراً لزعيم سوداني، ذلك مثلما كان سائداً منذ فترات ما قبل التاريخ في مصر، حيث كانت المباني المستطيلة الشكل يبدو أنها ارتبطت بطبقة عالية من السكان، بينما ارتبطت الأخرى الدائرية الشكل بطبقة أقل. وربما كانت خارطة البناء اختراعاً مستقلاً انتشرت بواسطة رعاة الماشية إلى أجزاء أخرى إلى شمال وشرق أفريقيا. وقد بدأ خلال المملكة المصرية الوسطى استخدام الطوب اللبن – غير المحروق – بواسطة السودانيين، وربما عرفوه عندما استجلب المصريون العمال المهرة لبناء القلاع. وتم استخدامه لبناء القبور والمقصورات الجنائزية (Tomb chapelles). (Trigger:1965:154-155).

ولم يتم العثور على منازل لطبقة عليا من زمن المملكة الحديثة ولكن بعضها كان – ربما – ضمن المراكز الإدارية، فلربما كان الأمراء الذين

تعلموا في القصر الملوكي، وبنوا مقابرهم على الطراز المصري، كانوا أيضاً يعيشون في منازل تشبه تلك المصرية التي سكنتها الطبقة العليا، أو ربما عاشوا في القصر نفسه، وهنا قد تصلح مدينة الحماداب المروية مثلاً بمعبدها الملحق كمركز حضري يشير إلى الأمير المروي أكينيداد (Akinidad).

وقد كانت المنازل المروية عبارة عن مبانٍ من الحجر أو الطين اللبن أو المحروق، وكانت تقوم على أساسات من الحجر، وما يزال سقفها الذي يأخذ شكلاً نصف دائري (Vaulted roof)، والذي يمثل شكلاً من أشكال العمارة المصرية، مستخدماً في بعض مناطق من سودان اليوم. وبنى المرويون القلاع والمراكز الطقوسية في قصر ابريم وجبل عدا (الاثنتان على الضفة الشرقية للنيل)، إلا أن القرى المروية التي كانت أكثر حماية، وخاصة تلك التي تقع على الضفة الشرقية من النيل، يبدو أنها كانت عبارة عن مجموعات من المنازل غير المحصنة جيداً، ذلك يبدو –ربما– لأن طبيعة المنطقة نفسها كانت تمثل تحصينات طبيعية، وقد كانت هذه المنازل تقع مباشرة خلف المناطق الزراعية كما هو حال القرى في سودان اليوم. ويبدو أن السكان قد توزعوا على كل نطاق الأرض حولهم أينما سمحت الرقعة الزراعية وشغلوها، وقد وزعوا مساكنهم خلف الرقع الزراعية مباشرة اعتماداً على النيل (مياه نيل – زراعة – مساكن).

ولقد أثرت العوامل العسكرية في توزيعات المجتمع السكانية خاصة في نهايات وبدايات الفترة المسيحية الكلاسيكية في السودان القديم. إذ فقط نحو نهاية الفترة المسيحية ظهرت المستوطنات المحصنة بشكل واسع.

والمنطقة الممتدة من كورسكو الى وادي حلفا قد توزعت فيها أحزمة استيطانية مدنية مروية امتدت على طول الفترة بين القرنين الأول وحتى السادس الميلاديين وقد تشاركت جميعها في سماتها الحضارية المروية وأبرزها

الديانة المروية وشكلت حرماً شمالياً للمملكة ضد روما وحملت السمات المادية للحضارة المروية.

وفي اريكا تم العثور على مدينه وصفها كل من Leonard Woolly و Randall–Mac Iver باعتبارها مستوطنة رومانية –نوبية الطابع (Romano–Nubian Settlement), وهي مستوطنة صغيرة في مساحتها وغير مسورة وتقع على الضفة الغربية للنيل على بعد حوالي ثلاثة أميال الى الشمال من كورسكو (بين كورسكو والدّير) وفي ذات هذه المنطقة تم العثور على العديد من المساكن الصغيرة الطابع دللت عليها بقايا قطع كسارة الفخار الملون بجانب بعض المخربشات من فترات زمنية مختلفة وبعض بقايا لمدينة ربما كانت محصنة في شكل قلعة كلها ذات طابع روماني نوبي.

أما كرانوق فهي بدورها قلعة ذات طابع روماني –نوبي وضعت لحماية الجزيرة (جزيرة ابريم) خاصة في جهتها الشمالية لتقابل مدينه قصر ابريم المحصنة شكل رقم(1).

شكل (1): تحصينات مدينة قصر إبريم

عن(Woolley:1911, vol.v)

ويتحدث (وولي وماكايفر) عن وجود مدافن هرمية في هذه المنطقة وفي عنيبة القريبة منها بجانب نصوص فيها ذات طابع محلي تعود لنبلاء محليين (وولي وماكايفر:1:1910) مثلما الحال في عنيبة وبوهيين المحصنتين شكل رقم(2).

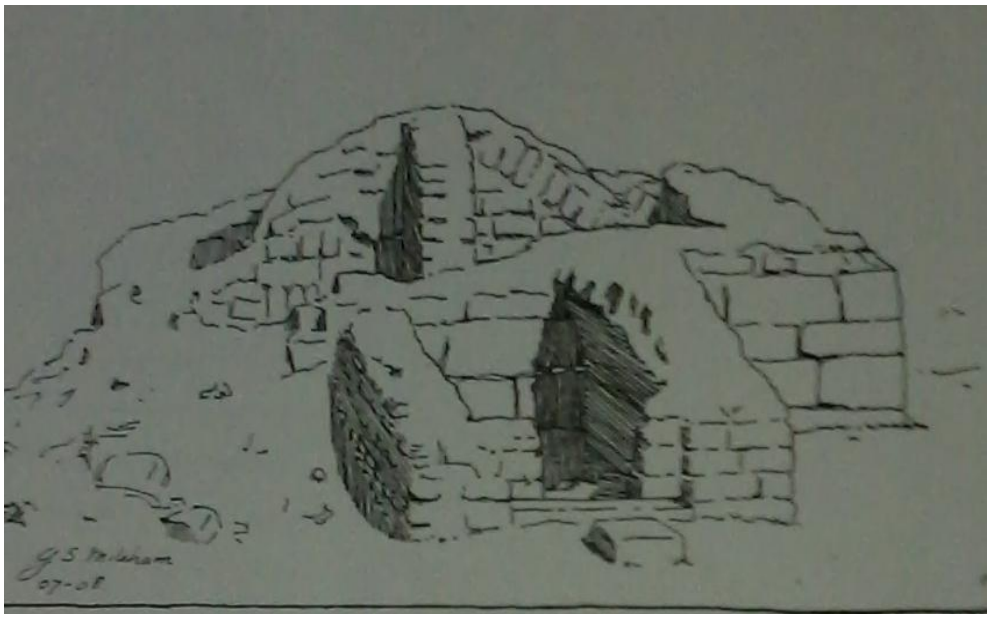

شكل (2): مدفن هرمي في كرانوق

عن(Woolley and Mac Iver:1910, vol.iii)

في كرانوق يقل الأثر الروماني فمبانيها من الطوب اللبن, والاسم كرانوق يتكون باللغة المحلية من كلمتين لتعني (بيت الكارا The House of Kara) , وتعني كلمة الكارا الزعيم العظيم في الأزمنة الغابرة.

إن القلعة نفسها في كرانوق بنيت من الطوب اللبن في الركن الشمالي الغربي من المدينة وارتفاع بقايا حوائطها حين نقبت يبلغ ثلاثة أمتار وهي مازالت محتفظة بشكل جيد وتشابه بهذا الأمر بعض المباني في قصر ابريم وفي شبلول وعنيبة. وقد أرخ لها كل من ليبونارد وولي وماكايفر بالفترة الرومانية الا أنهما لاحقاً أكدا طبيعتها المحلية ذلك بعد فحص جبانتها ودراسة القلعة فيها والمدينه التي قادتهما للخلوص لثقافة محلية فيها.

وبعد دراسة أنواع الآنية الفخارية والبرونزية خلصا الى أن كرانوق مارست اقتصاداً زراعياً بصورة اساسية ورعوياً (ماشية) بشكل أقل. كما مارست أنواعاً من الصيد, وأنماط بنائهم المعمارية جيدة جداً وذات طوابق متعدده تختلف عن أنواع المساكن المصرية. وحتى المساكن الصغيرة كانت لها طوابق علوية تقود لها سلالم مزدوجة ويظهر الأثر الروماني في استخدام الحجارة الرملية في البناء شكل رقم (3).

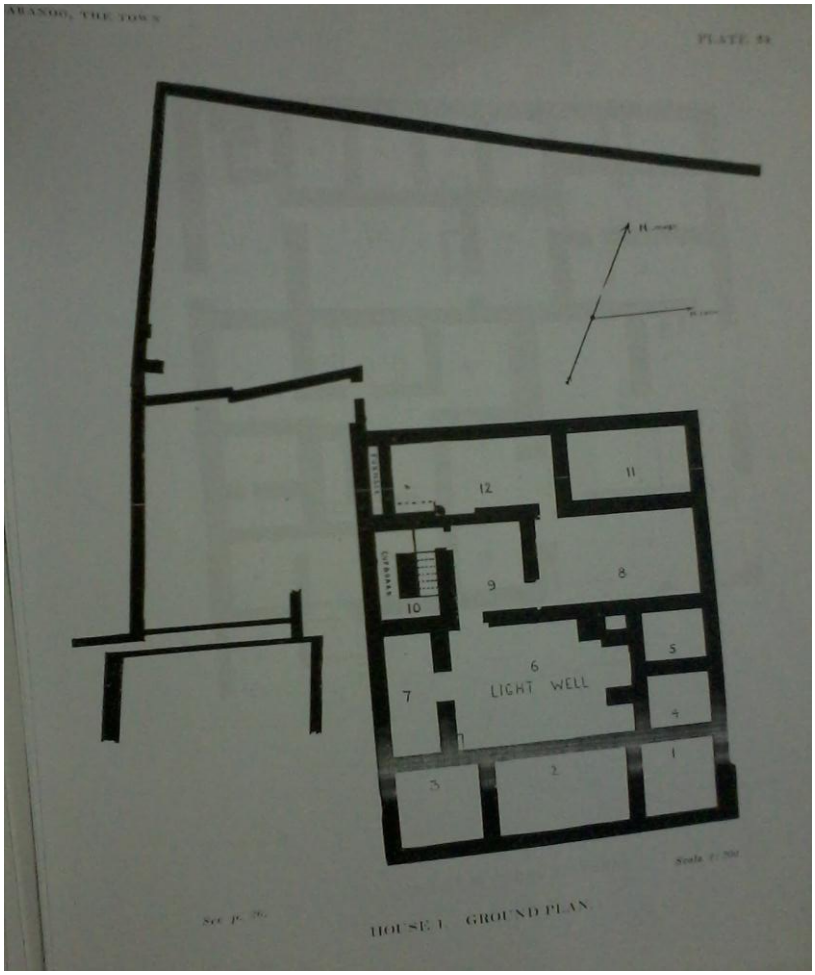

شكل (3): طابق أرضي لمنزل من كرانوق

عن(Woolley:1911, vol.v)

أما الدين فقد تمثل في عبادة الآلهه المصرية والإغريقية والمحلية (آمون – حاتور – أنوبيس وايزيس) كانت من بين الآلهه المعروفة عندهم,

وغابت عندهم عمليات تحنيط الموتى. وقد مثلوا للروح بتمثال الروح في شكل طائر Ba statue برأس بشري وقد أسقطوا عليه تطورات محلية شكل رقم (4)

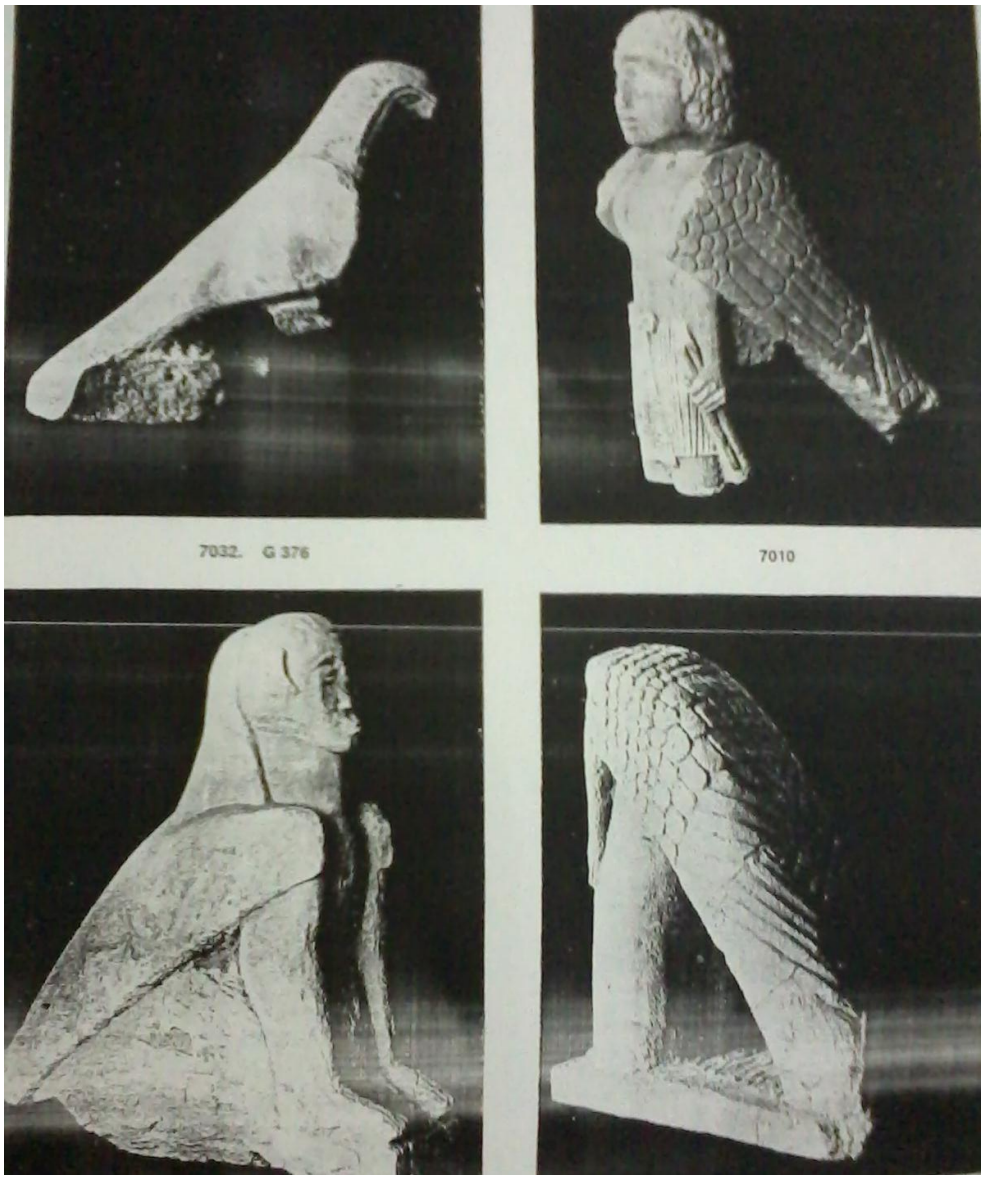

شكل (4): نماذج مختلفة من تماثيل الروح

عن(Woolley and Mac Iver:1910, vol.iv)

وربما لعب الضفدع والأسد ادواراً مقدسة عندهم, وكان كل ذلك يظهر الخصوصية واختلاف أنماط العبادة عما كان سائداً في مصر برغم التوافق في اعتماد الآلهه.

كما ظهرت الروح الهلنستية بوضوح أكبر عن المصرية في أعمال الفن عندهم ذلك برغم وصولها اليهم عبر معبر واحد. وأخضعت هي بدورها للذوق المحلي خاصة في فن المنحوتات سواءً على الحجر أو الخشب أو العاج أو الزجاج وبخاصة في تذويق الفخار. وتميز فخارهم بكونه أجود الأنواع الإفريقية على الإطلاق.

أن الأدلة المنقوشه (Inscriptions) تربط كرانوق مباشرة مع الدولة المروية شكل رقم (5).

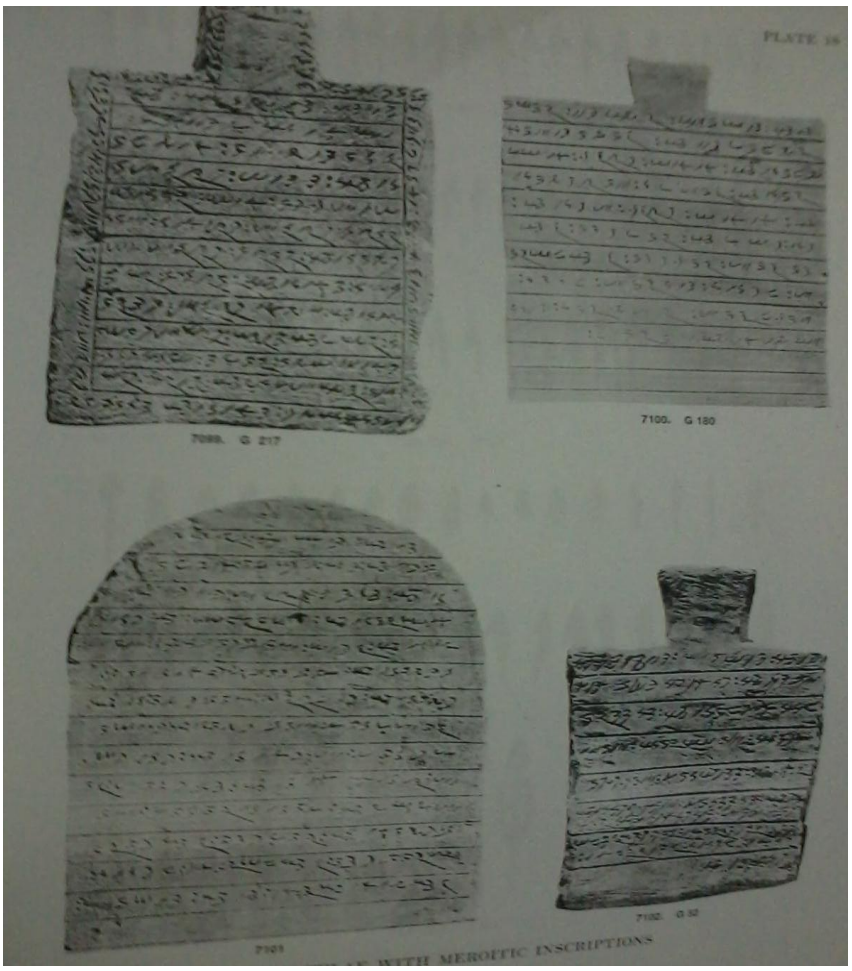

شكل (5): نصوص منقوشة بالمروية من كرانوق

عن(Griffith:1911, vol.vi)

وهذا الربط يتمثل في جميع أنواع الثقافة المادية الأخرى التي سبق ذكرها, فالمنقوشات وخاصة في المقصورات الجنائزية لها صلة وثيقة بتلك

التي تحملها مدافن اهرامات مروي أو المعابد في النقعة وفي المصورات الصفراء. وهي المنحوتات في أشكال تمثال الروح وتشير الى نفس الأشخاص في العاصمة المروية, ذلك بجانب اللغة المصاحبة لهذه التماثيل, مما يقود الى ربط وثيق بين كرانوق وعاصمة الدولة المعاصره لها في مروي شكل رقم(6).

شكل (6): تماثيل الروح (مروية) من كرانوق

عن(Woolley and Mac Iver:1910, vol.iv)

إن آخر المعابد المروية في أقصى شمال الدولة هي تلك المعروفة في مدينة عمارا وقد شيدت بواسطة الكنداكة (أماني شخيتو – رينص؟) في حروبها ضد القوات الرومانية للإمبراطور أغسطس في عام 29 قبل الميلاد

وتعتبر في ذات الوقت هي حداً شمالياً للدولة المروية, وهي تقع على بعد مائة ميل جنوب الشلال الثاني, بينما تقع كرانوق على بعد ثمانين ميلاً شمالها, ولما كانت المنطقه بين الشلالين بها العديد من المدن المحصنة في فرص, جبل عدّا, ابريم بجانب القرى المفتوحة في بوهين, أرقين, عمادا وشبلول لها صلات مباشرة بمدينة كرانوق فان هذه المنطقة لها صلات مباشرة بالدولة المروية وتمثل بالتالي كل هذه المستوطنات والمدن مدناً مروية تحمل جميع سمات أو طابع الحضارة المروية شكل رقم(7).

شكل (7): معبد قصر ابريم

عن(Woolley:1911, vol.v)

الفصل الثالث

المدن المروية جنوب العاصمة مروي

1/ موقع دومة الحماداب:

إن إنشاء جامعة شندي عام 1994م بولاية نهر النيل، إحدى ولايات وسط السودان، قد أدى بصورة حتمية إلى إنشاء قسم فيها للآثار والمتاحف ليدفع بالعمل الآثاري في المنطقة، لا سيما وأن الجامعة تقع في المنطقة المعروفة آثارياً بنطاق شندي الآثاري (Shendi archaeological reach) والتي تعرف في ذات الوقت بكونها تضم آثار المحور الجنوبي لفترة حضارة كوش (750ق.م – 350م)، أبرز فترات الحضارة السودانية خاصة في فترتها المعروفة بفترة نبتة – مروي، حيث تنتشر هنا بصورة أساسية آثار العهد المروي من هذه الفترة.

وقد تكونت ابتداءً من عام 2001م بعثة دومة الحماداب Domat el-Hammadab Expedition (DHE) كمشروع مشترك بين جامعة شندي والهيئة العامة للآثار والمتاحف وجامعة هامبولدت الألمانية ببرلين، وكان من أبرز أهداف المشروع التعرف على طبيعة موقع الإستيطان الحضري في قرية الحماداب الذي يعود تاريخه إلى العهد المروي، والتعرف كذلك على المجتمع الحضري الذي نشأ في الموقع في تلك الفترة، بجانب أن المشروع يوفر فرصة ممتازة لطلاب الجامعتين والباحثين من أساتذتهم ومنسوبي الهيئة العامة للآثار والمتاحف لتنفيذ برامج مشروعات الأبحاث العلمية ورفع مستوى الخبرات وتأكيد ثقة الطلاب وإكسابهم مهارات العمل الآثاري.

ويقع موقع الحماداب الأثري على الضفة الشرقية لنهر النيل على بعد حوالي 250 كيلومتر شمال الخرطوم (GPS,16.91 508 North,

(East, WGS 1984 482 33.69، على مقربة من مدينة مروي القديمة عاصمة المملكة الكوشية في عهدها المروي، التي تبعد شمال الحماداب فقط بحوالي2.5 كيلومتر. ويحمل الموقع اسم قرية دومة الحماداب التي يقع داخلها، والتي تعد بدورها الحد الشمالي لمدينة كبوشية الحالية (خريطة رقم 1), (صوره جويه رقم1).

خريطة رقم (1) : موقع الحماداب الأثري

عن (Wolf .P .et al, 2007,158)

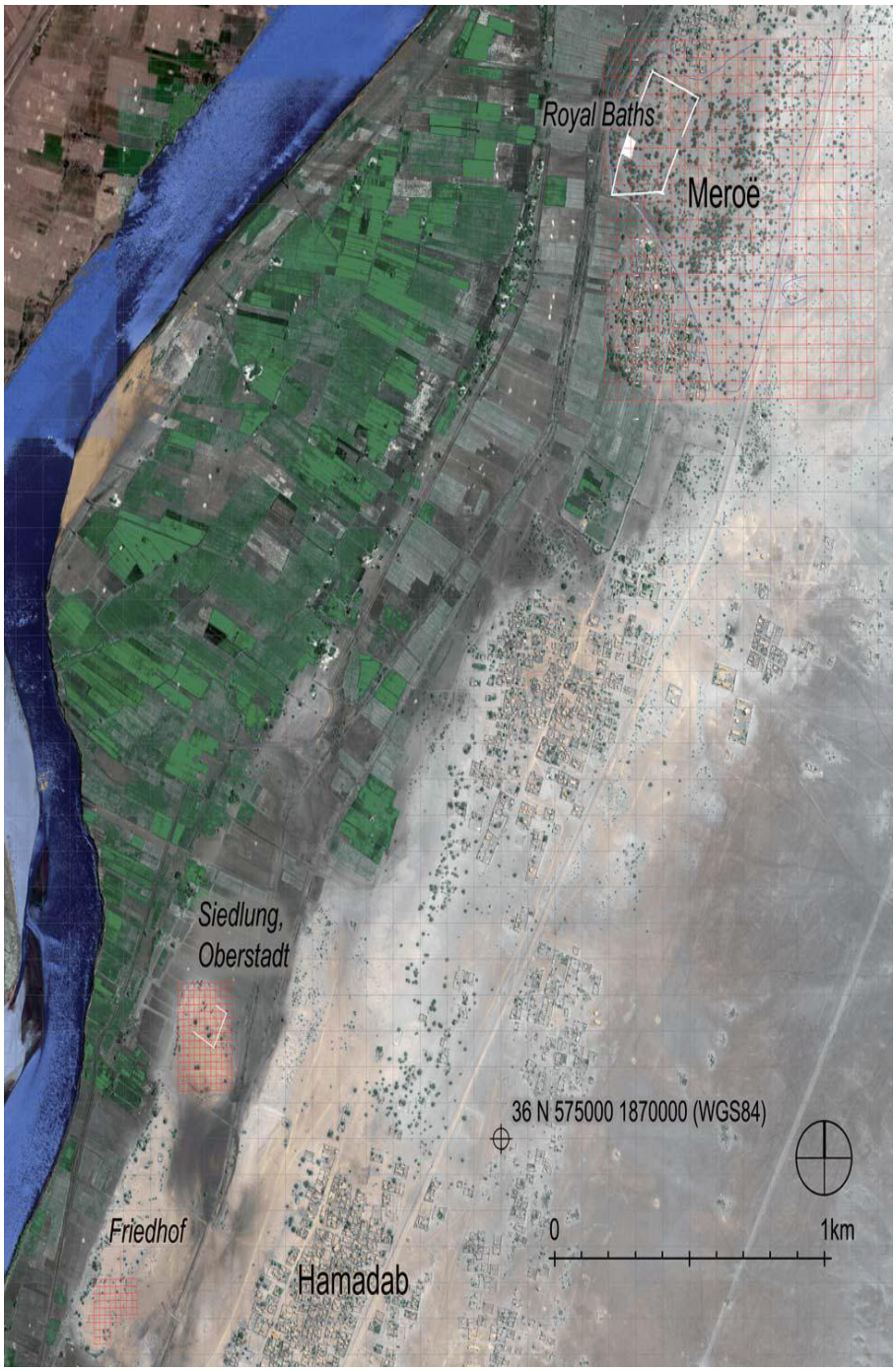

صوره جويه رقم (1) : تظهر موقع الحماداب من مروي

عن (Wolf .P .et al, 2007,159)

ويتكون الموقع الأثري في الحماداب من كومين كبيرين – شمالي وجنوبي – يقعان بمحاذاة النيل ويغطيان مساحة تبلغ حوالي 250×200 متراً و500×250 متراً على التوالي. ويرتفع كل منهما عن مستوى سطح الأرض

الزراعية التي تحيط بهما حوالي الأربعة أمتار، وتحيط مياه النيل عند الفيضان بكلا الكومين. وتغطي الكومين الآلاف من بقايا قطع الفخار المتكسرة، ويبدو سطح الكوم الشمالي منهما – على وجه الخصوص – غنياً جداً بالآنية الفخارية المروية الجميلة الصنع. وتشير أيضاً بقايا كسارة الحجارة الصلدة (جرانيت، دايورايت) المنتشرة على السطح إلى أن تماثيل ومسلات ربما قد انتصبت يوماً ما في الموقع. ولم تبن على السطح مبانٍ شاخصة أو حتى أساسات لها، إلا أن تقدم العمل قد أظهرها لاحقاً، وقد دلل على وجودها قبلاً الانتشار الواسع على السطح لبقايا قطع الطوب الأحمر المحروق في جميع أجزاء الموقع. كما أن مخلفات الكوم الشمالي العديدة والمتنوعة في كمياتها وأنواعها، قد تدلل على نوع الحياة اليومية التي عيشت على الموقع، فقد شملت هذه البقايا – على سبيل المثال – بقايا خبث الحديد الذي يدلل على ممارسة على نطاق واسع لإنتاج الحديد في الموقع في الفترة المتأخرة من العهد المروي، بجانب العديد من اللقى الأثرية الصغيرة مثل الآنية الصغيرة الجميلة الملونة والتي تحمل أختاماً، بالإضافة إلى الكثير من حلقات الأصبع الحجرية (خواتم النبال) التي كان استخدامها شائعاً في العهد المروي لرمي السهام والمعروفة بشدادات السهام (Archer’s looses) على السطح. فكل هذه اللقى المنتشرة على السطح تعود بتاريخ الموقع إلى العهد المروي من الفترة الكوشية. ولا توجد في الموقع أبنية أو دلائل لأنشطة استيطانية يمكن إرجاعها إلى أزمنة العهدين المسيحي أو الإسلامي اللاحقين على التوالي.

إن الكومين قد اختبرا بشكل جزئي في فترات سابقة، خاصة بعد العثور على مسلتين في الكوم الشمالي حيث نقبت فيه بعثة جامعة ليفربول التي قادها عام 1914م جون جارستانج (John Garstang) معبداً ذا غرفتين، وهو المعروف بهيكل ابيس (M) “Shrine of Apis” -16 ,Garstang:1914)

(1000 .17 الذي انتصبت أمامه المسلتان في القدم، وإحداهما هي المسلة المعروفة بمسلة الأمير أكينيداد (British museum BM 1650/REM Akinidad) 1003، (شكل رقم 1)

شكل رقم (1) : مسلة الأمير أكينيداد

عن (Wolf .P , 2002, 94)

والتي تشير إلى أهمية الحماداب في الماضي، ويعد نصها المكتوب باللغة المروية من أطول النصوص المروية التي عثر عليها حتى الآن. ويشير النص إلى الحرب التي وقعت عام 24 ق.م (Griffith:1917; Hintze:1959,24; Török:1997b,456) بين مروي وروما. وقد أغفلت توثيقات جارستانج

معلومات مفصلة حوله وحول مجمل ما قام به في الموقع، وقد وثق المعبد، الذي يتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، فقط برسم خارطة أولية (Sketch plan)، بل إن موقعه في مجمل إطار الموقع لم يوثق حينها (Garstang: 1914,8-16).

ولقد تم في الموسم الأول إجراء المسوحات السطحية على الكومين بعد أن وضع نظام التخطيط الشبكي (Grid-system) وفقاً لنظام (Universal transverse mercator projection "UTM. Co-ordinates")، بالإضافة إلى أن اختباراً في هذا الموسم لعددٍ من مناهج العمل قد تم لتحديد أنسبها عند التعامل مع الموقع في المواسم اللاحقة. وقد بدا أن الكوم الشمالي هو الأنسب لبدء الإختبارات الأولية عليه في هذا الموسم (شكل رقم 2).

شكل رقم (2) : الكوم الشمالي

عن (Wolf .P, 2002, 93)

وقد شملت الإختبارات بالإضافة إلى المسوحات السطحية، وصفاً وتسجيلاً للموقع في حالته الراهنة حتى يمكن فهم حقيقة الإنشاءات والمباني المطمورة. وظهر بشكل واضح في الجزء الشمالي من الموقع مؤشر لإنشاءات ومبانٍ ذات طبيعة إدارية ودينية تمثلت دلائلها في التركزات الشديدة والمكثفة للفخار والطوب الأحمر "في شكل تلال مسطحة ومهشمة جداً بارتفاع نصف المتر، وما بين 10–20 متراً في محيطها"، كما تلاحظ أن مخلفاتٍ في شكل تلال وأكوام صغيرة (بارتفاع 2.5 متراً، وما بين 10–40 متراً في المحيط) قد غطيت بطبقات من خبث الحديد لتشير إلى صهر وإنتاج الحديد. وقد تم بعد نظافة بعض سنتمترات فقط لطبقة السطح، تسجيل أحدث مخلفات الموقع، حيث ظهرت حوائط مبنية من الطوب اللبن كان من الصعوبة تحديد تاريخ لها في هذه المرحلة من العمل، فرؤي اعتماد هذه المنهجية " النظافة السطحية، Surface cleaning" كأفضل وأسرع منهجية لإظهار خارطة إنشاء المباني في مساحة كبيرة من الموقع.

وقد أجريت أخيراً في نهاية هذا الموسم حفرية اختبارية (Test excavation) في المعبد الذي كان قد نقبه جارستانج (M 1000) وسُمي الآن (H 1000)، وتم العثور عليه على هدى صور التنقيبات السابقة عنه، ووضعت الخنادق الإختبارية Test trenches بالقرب من المدخل المؤدي إلى محراب المعبد (Sanctuary) (أشكال رقم 3، 4، 5).

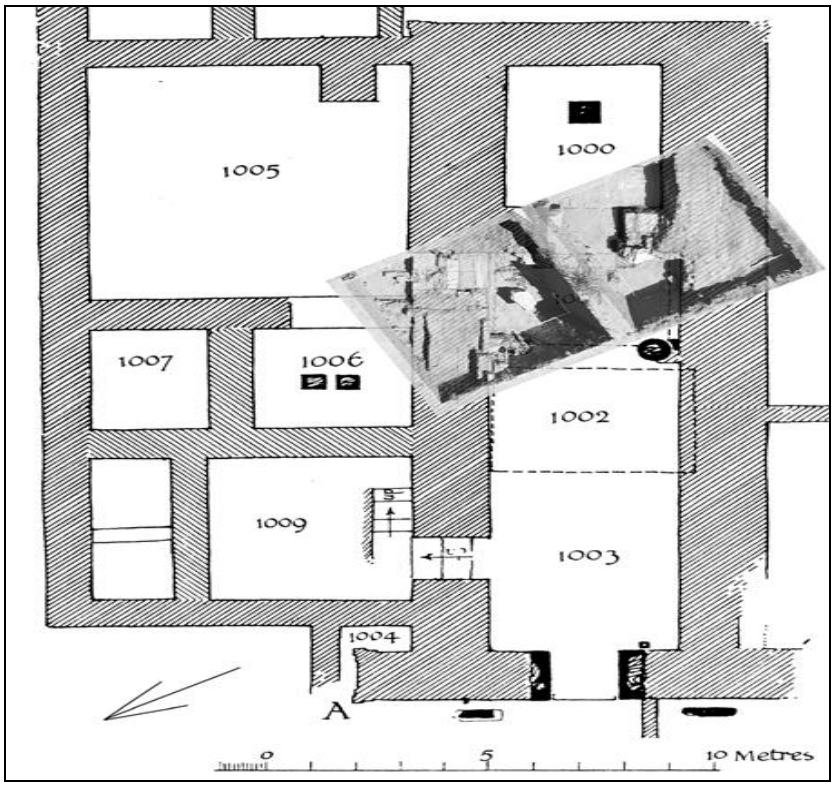

شكل رقم (3) : معبدH 1000

عن (Wolf .P, 2002, 94)

شكل رقم (4) : منظر شمالي للمعبد H 1000

عن (Wolf .P, 2002, 102)

شكل رقم (5) : منظر جنوبي للمعبدH 1000

عن (Wolf .P, 2002, 102)

ولوحظ أن المعبد قد وضع في الجزء الشمالي الشرقي تحت الكوم الشمالي. وقد تم بفضل التوثيق الجديد للمعبد تصحيح توثيق جارستانج حول حالة بناء المعبد، فعلى عكس ما أشار إليه جارستانج، فإن المعبد بني بصورة أساسية من الطوب اللبن وحُليت واجهاته بالطوب الأحمر (الطوب اللبن: 38×18×9سم؛ الطوب الأحمر: 34×18×9سم)، أما الأساس المطمور على عمق حوالي 95 سم تحت السطح، فقد تكون من أربع طبقات من الطوب اللبن وطبقة علوية من الطوب الأحمر، وقد تم تحت الأساس تسجيل عدد من طبقات الرماد، إلا أنه لم يتم في هذا الموسم تسجيل و متابعة الإمتداد الأفقي لهذه الطبقة الرمادية، ذلك لمحدودية الخنادق التي خططت لهذا الموسم.

وقد نتج عن إعادة تنقيب المعبد العثور على تمثال برونزي جميل (طوله 12.5سم) لملك مروي عُثر عليه في أرضية المعبد إلى الجنوب من المدخل المؤدي إلى المحراب. وبفضل مساعدة البروفيسور فيلدونغ (Wildung)، تمت صيانة ونظافة التمثال بالمتحف المصري ببرلين (شكلان رقم 6، 7).

شكل رقم (6) : التمثال البرونزي قبل نظافته

عن (Wolf .P, 2002, 98)

شكل رقم (7) : التمثال البرونزي بعد النظافه

عن (Wolf .P, 2002, 98)

النظافات السطحية Surface cleaning :-

لقد وجهت الإهتمامات في الموسم الثاني إلى التركيز على الكوم الشمالي وإجراء النظافات السطحية له. وكان الهدف من إزالة الرمال والمخلفات السطحية، الحصول على أكبر قدر من المعلومة يعين في فهم طبيعة المنطقة شمال المعبد ونوع الإنشاءات البنائية فيها. فتمت نظافة منطقة مساحتها 2000م^2 بعمق عشرة سنتمترات فقط، وأظهرت النظافة السطحية هنا مخلفات لمبانٍ في حالة جيدة من الحفظ (الأشكال رقم 8، 9، 10).

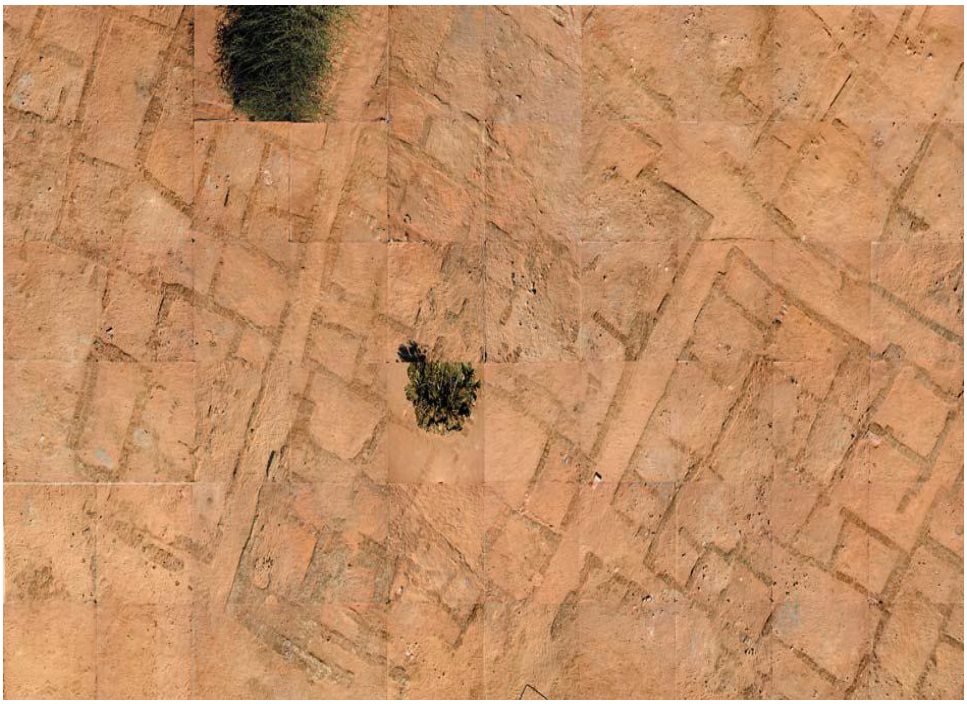

شكل رقم (8) : النظافة السطحية في الكوم الشمالي

عن (Wolf .P, 2002, 99)

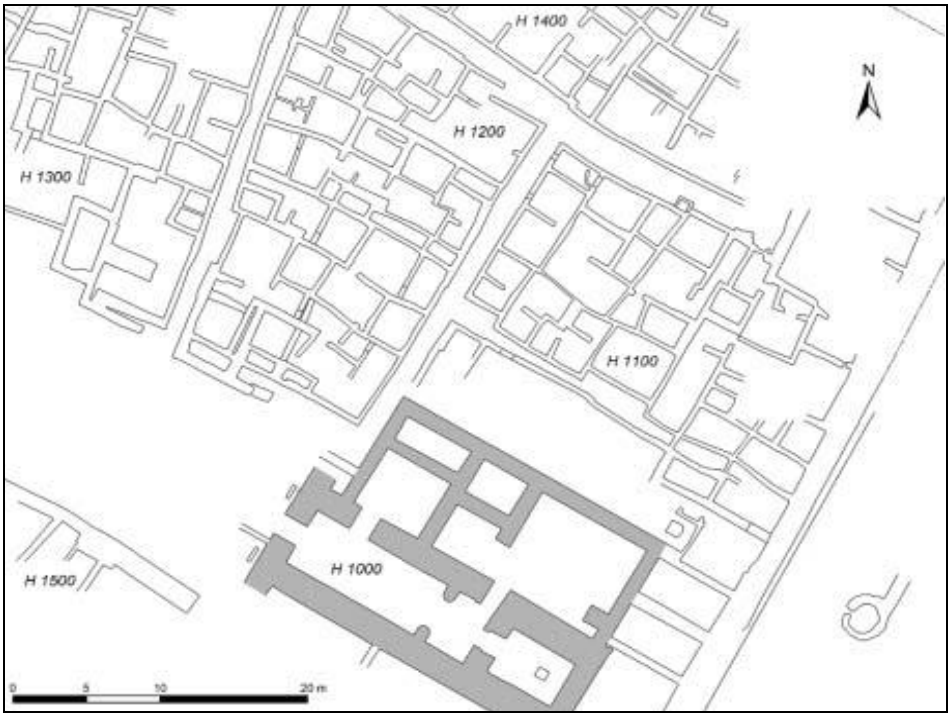

شكل رقم (9) : توثيق النظافة السطحية في الكوم الشمالي

عن (Wolf .P, 2004, 84)

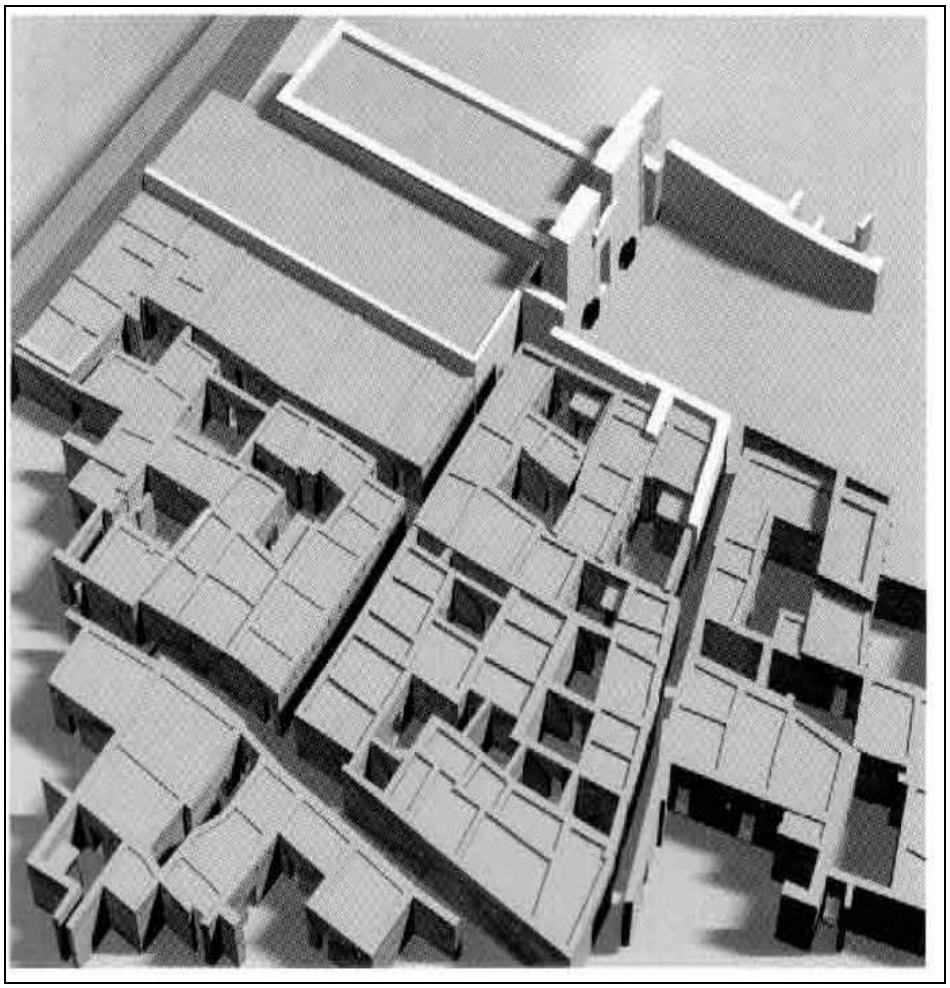

شكل رقم (10) : إعادة توثيق النظافة السطحية في الكوم الشمالي

عن (Wolf .P, 2003, 67)

فتم فهم حقيقة حوائط لأربعة مجمعات من المباني تبلغ مساحة كل واحد منها 15×30 متراً مربعاً. وفصل بين هذه المباني بشوارع ضيقة (بعرض متر واحد)، وتتجه الشوارع كلها في خطوط متوازية إلى جهة الزاوية اليمنى (الشمالية). وتأخذ كل هذه المنطقة نفس اتجاه المعبد (H 1000) "الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي". إستناداً على هذا التخطيط، بالإضافة إلى الأواني المروية الجميلة الصنع التي تم العثور عليها كاملة بكميات كبيرة في الطبقة العلوية، فقد أُفتُرض تاريخٌ لهذه المباني يعود إلى الفترة المتأخرة من العهد المروي. وتوحي مساحات الشوارع والغرف والحيشان بالاعتقاد بأن المدينة عبارة

عن مستوطنة حضرية أكثر منها مقراً دينياً فقط. وربما يعيد – في ذات الوقت – التخطيط العام للمدينة، الواضحة من خلاله منظومة المباني التي تفصل بينها الشوارع الضيقة، إلى الذهن صورة العمارة الحضرية الإغريقية والرومانية القديمة (شكل رقم 11)، إلا أن مادة البناء الرئيسية هنا هي الطوب اللبن.؟!

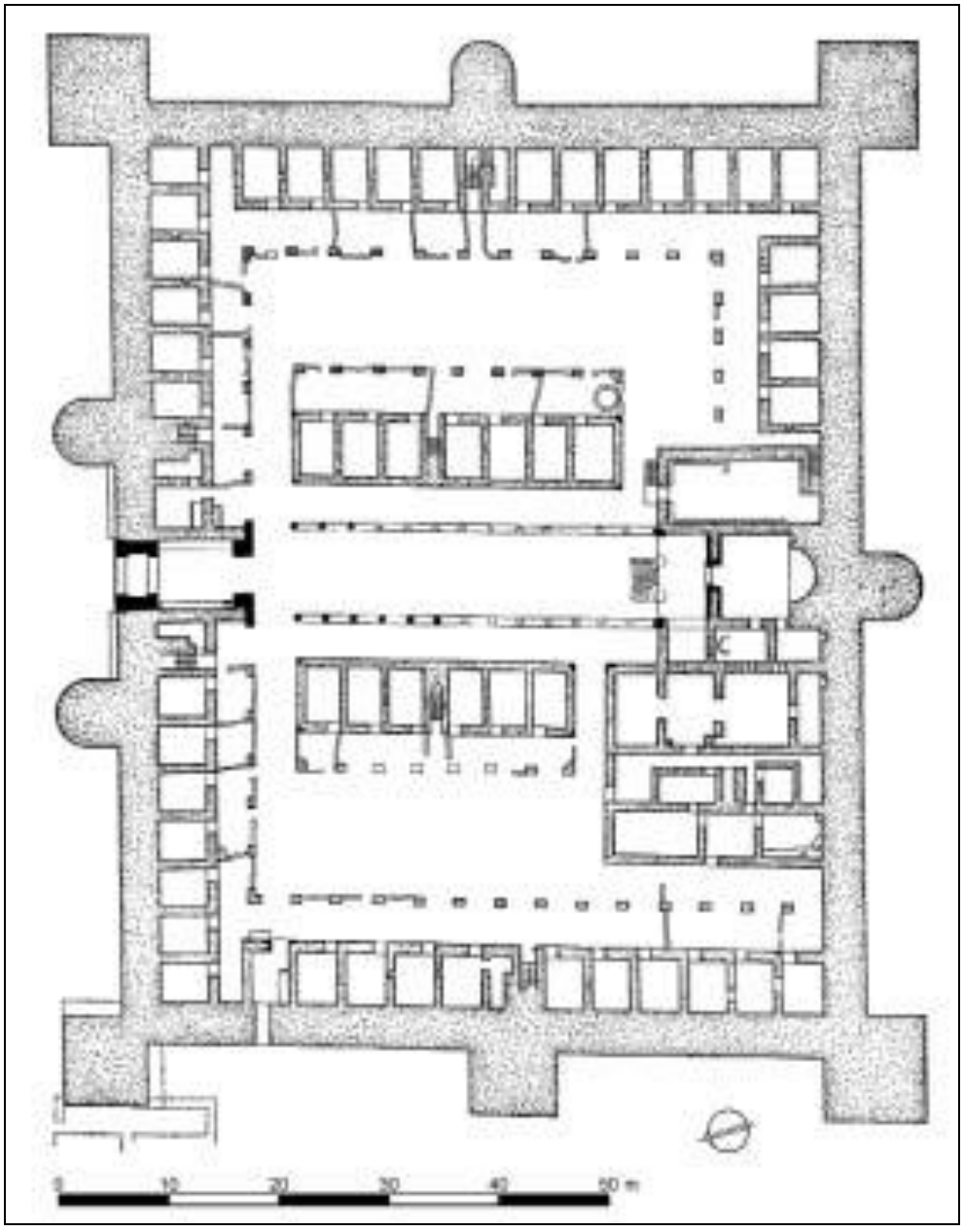

شكل رقم (11) : العمارة الحضرية الإغريقية والرومانية القديمة

عن (Wolf .P, 2004, 93)

وتضم المجمعات مبانٍ ذات غرف مزدوجة وحيشان مفتوحة وغرفاً داخلية أصغر (مساحتها أقل قليلاً 15×15 متراً مربعاً), وقد يأخذ البناء شكلاً مستطيلاً. ويبلغ عادة سمك الحوائط الداخلية والخارجية، والتي بنيت من الطوب اللبن حوال الطوبة ونصف الطوبة، وما يزال العديد من الحوائط محتفظاً بملّاطه الأصلي (Plaster) باللون الأبيض أو الأحمر، وقد بدا أن الطوب الأحمر قد استخدم فقط لتحلية البناء وزينته وفي بعض الحالات، كعتبات لأبواب المداخل، وحجم الطوبة المستخدم هنا مساوٍ لحجمها الذي استخدمت به لبناء المعبد (H1000) اللبن: 38×18سم ؛ والأحمر: 34×18سم) ويشير أسلوب بناء الغرف الصغيرة غير المنتظمة داخل المجمع إلى مقر سكن يستخدم للحياة اليومية. كما يمكن القول – بشئ من حذر – أن بعض ملامح التفاصيل المعمارية قد تأثرت بالعمارة الرومانية خاصة عند المداخل، وكان بيتر شيني (Peter Shinnie) قد عثر على مشابهات لها عند قيامه بشق خندق لدراسة الطبقات في منطقة محدودة من الكوم الشمالي من مدينة مروي العاصمة خارج السور الملكي، ولما كانت أعماله محدودة هناك فإن إجراء مقارنات تفصيلية يبدو أمراً صعباً حتى الآن (Shinnie and Bradley 1980:15; 1984:197-200).

وهناك مساحة واسعة ومفتوحة تقع إلى الشمال الغربي من المعبد (H1000)، وفي مواجهة مدخله توحي باستخدامها الطقوسي المرتبط بالمعبد، وتضيق الممرات هنا عن غيرها في كل أجزاء الموقع، كما يبدو واضحاً أن منطقة المعبد (H1000) ليست مسورة حيث ترتبط مباشرة بالحوائط الخارجية للمعبد. وبدا واضحاً كذلك أن جارستانج كان قد قام بالتنقيب في هذه المنطقة دون أن يوثق لها . وهنا يشير حائط من الطوب اللبن سمكه 2.5 متراً ويمتد

خلف المعبد إلى كونه سوراً للمدينة (City wall)، ويواصل السور امتداده إلى جهة الشمال الشرقي ليحيط كذلك بالجزء الشمالي من المستوطنة. حُلي هذا الحائط، المبني من الطوب اللبن، في جانبه الشرقي (الخارجي) بواجهة من الطوب الأحمر. ولم يُعثر خلفه على أي مخلفات تدل على بناء، وبدلاً عنها وُجدت مخلفات عظمية مهشمة وفخار وخبث الحديد.

ولُوحظ في عدة أماكن في المنطقة شمال المعبد، وجود طبقات من الرماد وأماكن للنار (Fire places)، كانت بالطبع تغطي أساسات المبنى تبدُ المساحات هنا مشغولة بغرف، كما وُجدت في هذه المنطقة مجدداً الأواني الفخارية موضوعةً داخل الحوائط، مما قاد لافتراض أفق استيطاني مروي متأخر وربما كان أفقاً استيطانياً لفترة ما بعد مروي (Post-Meroitic period/X group)، وقد تحطمت مباني هذه الحوائط تماماً أو ربما قد عاش أصحابها في بقايا خرائب المرويين (مثلما ذكر في مسلة عيزانا؟)، وتبقى كل تلك افتراضات، ما لم يتم تحديد تاريخ محدد للقى الصغيرة.

الخنادق الإختبارية بغرض دراسة الطبقات Test trenches for stratigraphy :-

لقد تم توسيع الإختبارات بتنقيب أجزاء محدودة في الغرف والشوارع محاولة للحصول على معلومات مفصلة حول العمق التاريخي والزماني للمجتمعات، وقد أظهرت هذه الإختبارات التي تمت في عدة مناطق من الموقع أن أدنى أجزاء المباني فقط هي التي احتفظت بشكلها القديم، وما يُعضد هذه النتيجة – على سبيل المثال – أن طبقة الطوب اللبن التي تغطي حوائط المعبد (H 1000) قد اختلف طوبها قليلاً في وضعه وحالته وحجمه عنه في طبقات الحوائط تحته. ويتكرر الأمر نفسه في المناطق الأخرى التي أُجري فيها الإختبار وهي الأقسام (HX 67D-01, HW 67G-01).

وكما هو الحال في المعبد نفسه، فإن أعلى طبقات الطوب اللبن تختلف في أوضاعها مقارنة مع وضع الطوب فيما تحتها من طبقات. وقد استمر عمق الحوائط الأدنى ليصل إلى 70 سنتمتراً. وبدا في الخندق (HW 67G-01) أن أساسات الطوب الأحمر قد وضعت على طبقات رمادية ناعمة تحتوي على فخار وفحم لتشير بشكل قاطع إلى كونها أقدم طبقات البناء. وتختلط طبقات الطوب اللبن في الخندق (HX 67D-01) بطبقات الرمل وتضم مواد متفرقة بينها قطع الآنية الفخارية المروية الجميلة الصنع وقطع كسارة الطوب الأحمر والفحم والعظام وتصل إلى عمق 1.8 متراً وتواصل استمرارها إلى أعمق منه (شكل رقم 12).

ويمكن على وجه العموم افتراض ثلاث أو أربع فترات مختلفة مرت بها مراحل بناء المستوطنة :-

أ/ الأفق الأعلى: وتظهره الطبقة العليا (أعلى الطبقات) وتضم طبقات الرماد، أماكن النار والفخار، ويخلو تماماً من المؤشرات الدالة على المباني ويمكن اعتباره أفقاً يعود إلى فترة ما بعد مروي (Post-Meroitic period/ X group).

ب/ أفق الفترة المتأخرة من العهد المروي: ويظهر عند نظافة السطح، ويبدو أنه تكون بعد إنشاء المعبد (H 1000)، كما يبدو أن المعبد كان ما يزال مستخدماً خلاله وذلك ما يظهر من المساحة الواسعة المفتوحة أمامه.

ج/ أفق العهد المروي: ويظهر من المعبد (H 1000) ومن خلاله عمق الـ 70 سنتمتراً واستمرار حوائط الطوب اللبن فيه.

د/ أفقاً أقدم "مهشماً" تحت كل ذلك، يبدو أفقاً مروياً: يظهر من خلال الفخار المروي في أقدم (أعمق) طبقات الخنادق.

شكل رقم (12) : طبقات أفق بناء مستوطنة الحماداب

عن (Wolf .P, 2004, 87)

إختبار كوم خبث الحديد (H 100) :-

إن تنقيب واحد من أكوام خبث الحديد كان إحدى مهام هذا الموسم، وقد أُختير الكوم (H 100) الذي يقع خلف حوائط المعبد (H 1000) مباشرة، وبالرغم من أن الخندق قد وصل تربته العذراء هنا عند عمق متر واحد تحت أساس بناء المستوطنة المجاورة، إلا أنه هنا، وحتى نفس العمق، لم يُعثر على مخلفات لبناء، مما أكد الإعتقاد بأن منطقة الحديد، هذه الواقعة خلف حوائط المعبد (H 1000)، إنما تقع بلاشك خارج المستوطنة، كما بدا واضحاً أن أكوام الحديد هي أحدث الملامح في المنطقة. ويغطي الخبث نفسه منطقة صغيرة ويشكل طبقات كثيفة في أعلى طبقات الكوم. وتحتوي طبقات الحديد

المتماسكة على كميات كبيرة من الحديد، وعلى قطع من أنوية الحديد، وعلى كميات قليلة من قطع الفخار.

ويتركز خبث الحديد أيضاً في أعمق الطبقات بشكل متزايد، ما قد يشير إلى أن صهر الحديد على مستوى واسع يمثل نشاطاً حديثاً في الموقع. وقد أظهرت الطبقات الأكثر عمقاً كثافة من الرماد، وقطعاً من الكوارتز والعظام والخرز وحجارة الرحى ومشغولات من الطين غير المحروق مثل تمثال آدمي صغير، وزوجاً من قطع القاشاني (Faience) الأخضر من بينها تمثال للبوءة ترضع أربعة من صغارها (الشكلان رقم 14,13).

شكل رقم (13) : تمثال للبوءة من القاشاني الاخضر ترضع أربعة من صغارها عن (Wolf .P, 2002, 99)

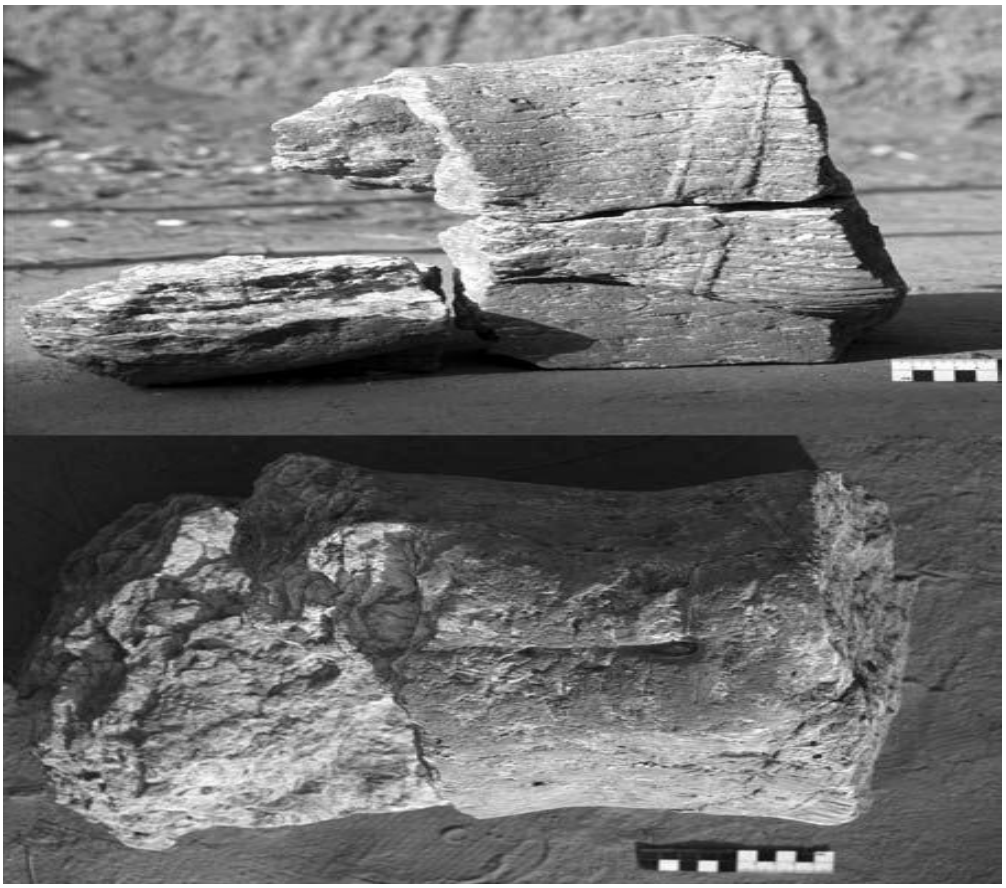

شكل رقم (14) : تمثال آدمي صغير من الحجر الرملي
عن (Wolf .P, 2002, 103)

وقد قادت هذه المعثورات الي الإفتراض أن الأكوام خلف حائط المدينة لا تضم فقط مخلفات وبقايا مناطق الإنتاج والورش، إنما يمكنها أن تقدم معلومات أولية حول المستوطنة وساكنيها ومعتقداتهم وطرائقهم في العيش.

اللقى :-

إن من بين المعثورات التي جمعت من على السطح أعداداً كبيرة من قطع الفخار الجميل، وغالبيته من نوع الآنية الفخارية المروية الجميلة الصنع الملونة تحمل الأختام المروية. وقد كانت الحصيلة منها في نهاية الموسم ستين (60) نوعاً مختلفاً (شكل رقم 15).

شكل رقم (15) : الأختام المروية

عن (Wolf .P, 2002, 99)

بالإضافة إلى معثورات أخرى تشمل لمبات الزيت المصنوعة من الفخار "Oil-lamps"، وشدادات السهام "Archer's looses"، وبعضها غير مكتمل، وقرطاً نحاسياً وآخر ذهبي، وكميات من الخرز، وكميات وأنواع مختلفة من الدلايات والمشغولات وأدوات الزينة الأخرى وحجارة الرحى ورؤوس السهام، وبعض المواد البرونزية والحديدية الثقيلة.

ومعظم هذه المعثورات يعود تاريخه إلى الفترة المروية مع احتمال وجود فترة ما بعد مروي (Post-Meroitic period/X group)، وذلك من خلال مقارنتها مع المعثورات من المدينة الملكية في مروي، أو في أبو قيلي (Phythian-Adams:1914-16, 11-22 ; Török : 1997,:233, n-597) (الأشكال رقم 16، 17، 18).

شكل رقم (16) : شدادات السهام

عن (Wolf .P, 2002, 99)

شكل رقم (17) : الآنية الفخارية المروية الجميلة الصنع الملونة ذات الأختام

عن (Wolf .P, 2002, 99)

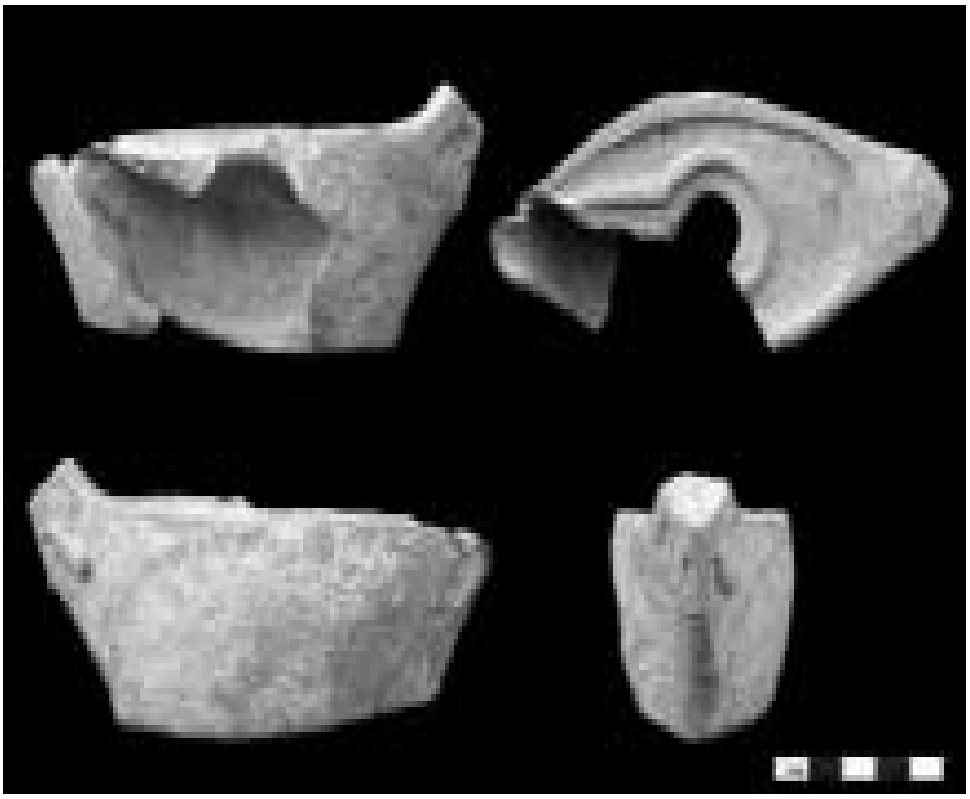

شكل رقم (18) : لمبات الزيت المصنوعة من الفخار

عن (Wolf .P, 2004, 87)

لقد كان الهدف الأساسي للموسم الثالث هو معرفة وضع وامتداد المستوطنة على الكوم الشمالي، ذلك بعد أن تم التأكد من أسلوب بناء المستوطنة، على الأقل في جزئها الشمالي الشرقي، كما كان الهدق أيضاً اختبار الإفتراضات التي وُضعت حول ما إذا كانت المدينة من طراز المدن المحصنة؟.

ومواصلةً للمنهج الذي أُتبع في الموسمين الأولين "منهج النظافة السطحية Surface cleaning" فقد تم أيضاً حفر عدد من الخنادق الإختبارية في شمال الكوم الشمالي وشرقه شملت الأقسام (HZ 66-67, HX 68-69, HW69)، و أظهرت المجسات الشرقية أن مخلفات المباني الشرقية قد تأثرت كثيراً بالفيضان العالي لنهر النيل، حيث أحاطت المياه بالكوم القديم من جميع

الجهات. إلا أنه تم التأكد من أن الحائط شرق المعبد (H 1000)، الذي نقبه جارستانج جزئياً، وأُعيد تنقيبه في الموسمين السابقين، يمتد إلى الشمال ليحيط ليس فقط بمنطقة المعبد، بل بكل المباني المعروفة حتى الآن، وهناك مدخل بدا واضحاً في هذا السور في القسم (HZ 67P)، دللت عليه قاعدة من الطوب الأحمر لتشير إلى المدخل الذي وضع عند زاوية دقيقة ليلاقي شارعاً يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بين مباني الأقسام (1400/1100-1200)، (شكل رقم 19).

شكل رقم (19) : الخنادق الإختبارية في شمال الكوم الشمالي وشرقه

عن (Wolf .P, 2002, 98)

وهناك حائط سمكه حوالي المتر يقفل هذا الشارع على بعد حوالي سبعة أمتار أمام حائط المدينة، وتركت مساحة صغيرة مسورة بين هذا الحائط وسور المدينة.

أما المجسات في الأجزاء الشمالية (HX 68-69) فقد أظهرت بوضوح باقي السور الشمالي للمدينة الذي يبلغ سمكه حوال المترين وبني من الطوب غير المحروق وحُليت واجهاته الشمالية (الخارجية) بالطوب الأحمر، ينسجم حجمه بدقة، وبشكل واضح، مع جزء السور الباقي في الجهة الشرقية. ولا يتصل هذا السور بالمعبد مباشرة، مما يؤكد أنه يشكل تحصيناً لأجزاء واسعة من المدينة. أما الحائط الذي وُجِد في القسم (HW 69) من هذه المنطقة فقد كان متأثراً للغاية بمياه الفيضان، ولذلك يمكن أن يُفترض وجود مدخل شمالي للمدينة.

وقد فُتح مجسٌّ اختباري أيضاً عند الجزء الغربي من الكوم في القسم (HU69) أظهر منازل ولم يظهر سوراً للمدينة، مما قاد لافتراض أن السور ربما وضع في منطقة إلى الغرب من تلال الطوب الأحمر المنتشرة في تلك الجهة، هذا إن كان هناك تحصيناً في هذه الجهة على الإطلاق. إذ لا تبدو المدينة مسورة من جهة الغرب، فلربما شكل النيل تحصيناً غربياً طبيعياً لها، ولما كان متوقعاً مواجهة صعوبات في منطقة تركز تلال الطوب الأحمر في هذه الجهة (الغربية)، فقد توقفت الإختبارات عند تلك المنطقة لضيق الزمن المتاح لهذا الموسم.

ولمتابعة الإمتداد الجنوبي للمدينة، تم حفر مجس اختباري بعرض 1.5 متراً بدءاً من منتصف الكوم الشمالي وعلى امتداد مائة متر نحو الجنوب. (الأقسام HU64-HU60) (شكل رقم 20).

شكل رقم (20) : الإمتداد الجنوبي للمدينة

عن (Wolf .P, 2004, 85)

وقد أظهر هذا المجس في كل أجزائه إنشاءات لبناء من الطوب غير المحروق. ولم يظهر بشكل واضح الإمتداد الجنوبي لسور المدينة، مما قاد إلى القول – حتى الآن – أن المدينة المروية في الحماداب قد امتدت تحت الكوم الشمالي من الموقع.

وكما هو الحال في وضع مشابه في الجزء الشرقي، حيث وضعت منطقة صهر الحديد خارج أسوار (المدينة)، فلربما نجد في المستقبل أمراً مشابهاً، إذ ربما قد وصل الحد الجنوبي للمدينة عند الأكوام (H500-900)، إضافة إلى أن حوائط المنزل التي ظهرت في الجزء الجنوبي أكثر سمكاً ويبدو أنها تختلف قليلاً في أسلوب البناء عنه في الجزء الشمالي. إذ يبدو هنا أن المنزل يحوي غرفاً وحيشان أكبر حجماً، وهذا ما قد يشير إلى أن الجزء الجنوبي من مدينة الحماداب المروية، ربما قد حوى منازل أكبر.

إن التفسير النهائي لوظيفة مباني مدينة الحماداب الأثرية ينتظر بالطبع تقدم البحث في المواسم المستقبلية، ولذلك فإن تفسير ما تم تنقيبه من أجزاء الموقع لا يعدو حتى الآن كونه تفسيراً عاماً.

وآخذين في الإعتبار الجزء الشمالي الشرقي من الكوم الشمالي بمبانيه وشوارعه الضيقة، بالإضافة إلى المواد المستخدمة في البناء، وكذلك المعثورات التي جمعت من على السطح، والتي من بينها المواد المستخدمة في الحياة اليومية، فإنه يمكن الإفتراض أن هذا الموقع هو مستوطنة حضرية مروية نمت وتطورت خلال فترات طويلة من عمر المملكة، ويشير التركز العالي لكميات وأنواع الآنية الفخارية المروية الجميلة الصنع إلى حياة طبقة اجتماعية راقية سكنت المدينة في القدم، بينما تدلل كميات شدادات السهام "Archer's looses" إلى ظهور قوات مسلحة أو صيادين في المسرح. واستناداً على ما تم التوصل إليه من نتائج حتى الآن، فإنه يمكن القول أن مدينة الحماداب القديمة هي أقرب المراكز الحضرية إلى مدينة مروي العاصمة و التي تضم إدارات سكنية وعسكرية ومبانٍ إدارية ودينية ومراكز إنتاج.

وكل ذلك مقروءاً مع الخارطة العامة لمدينة الحماداب ومقارنتها مع الخارطة العامة لمدينة مروي العاصمة، يبرز الأهمية القصوى لمدينة الحماداب في منظومة مدن الريف المروي، بالنسبة إلى عاصمة المملكة خاصة من الناحيتين الإقتصادية والأمنية، حيث لا يفصل بينهما سوى وادي الهواد الموسمي.

وهناك بعض الملامح المعمارية العامة مثل التصميم المستطيل للمباني، ووضع المعبد (H1000)، يمكن مقارنتها بسهولة بالعمارة الرومانية في فتراتها المتأخرة، كما يبدو التأثير الروماني متمثلاً في بعض المعثورات الصغيرة مثل لمبة الزيت المصنوعة من الفخار "Oil-lamp" التي عثر عليها في موسم 2002م.

ولما كان الإهتمام متزايداً بين الباحثين في حقل الدراسات المروية، فإن مدينة الحماداب سوف تقدم نتائج جيدة – منتظرة – فيما يتعلق بدراسة

الجوانب المختلفة للمجتمع المروي، خاصة ذلك القريب من عاصمة المملكة، وعلى وجه الخصوص تلك الجوانب المتعلقة بتماسكه واحتفاظه بخصائصه المختلفة، وتحديداً منذ أواخر الفترات المتأخرة من العهد المروي، حيث يبدو أنه مجتمع استمر تواصله في مناطق واسعة من الإقليم.

كما أن الحماداب ربما تكون أول الاحتمالات أمام الدارسين للحصول على خارطة طبوغرافية مكتملة لمدينة من مدن الريف المروي، فطبيعتها غير الملوكية ربما تُمكن – مستقبلاً – من المقارنة بين مختلف طبقات التسلسل الاجتماعي في الفترتين المروية وما بعد المروية. كما أن الدليل من مناطق الإنتاج في المدينة ربما يدفع للأمام مستقبلاً الدراسات المتعلقة بإنتاج الحديد في مروي وغيرها من التقنيات القديمة شكل رقم (21).

شكل رقم (21) : اعادة تخطيط الجزء المنقب من المدينه

عن (Wolf .P. et al, 2007, 219)

2/ موقع الحصا:

إن المشروع الآثاري لتنقيب موقع الحصا (جزيرة مروي) هو مشورع حفريات مشترك بين جامعة شندي، الهيئة العامة للآثار والمتاحف، جامعة شارل ديجول ليل الثالثة – فرنسا والوحدة الفرنسية الدائمة للآثار التابعة للهيئة العامة للآثار والمتاحف بالخرطوم، ومن أهدافه إجراء حفريات في موقع حضري مروي في منطقة جزيرة مروي في إطار عمل مشترك بين هذه المؤسسات العلمية والإدارية (خريطة رقم2).

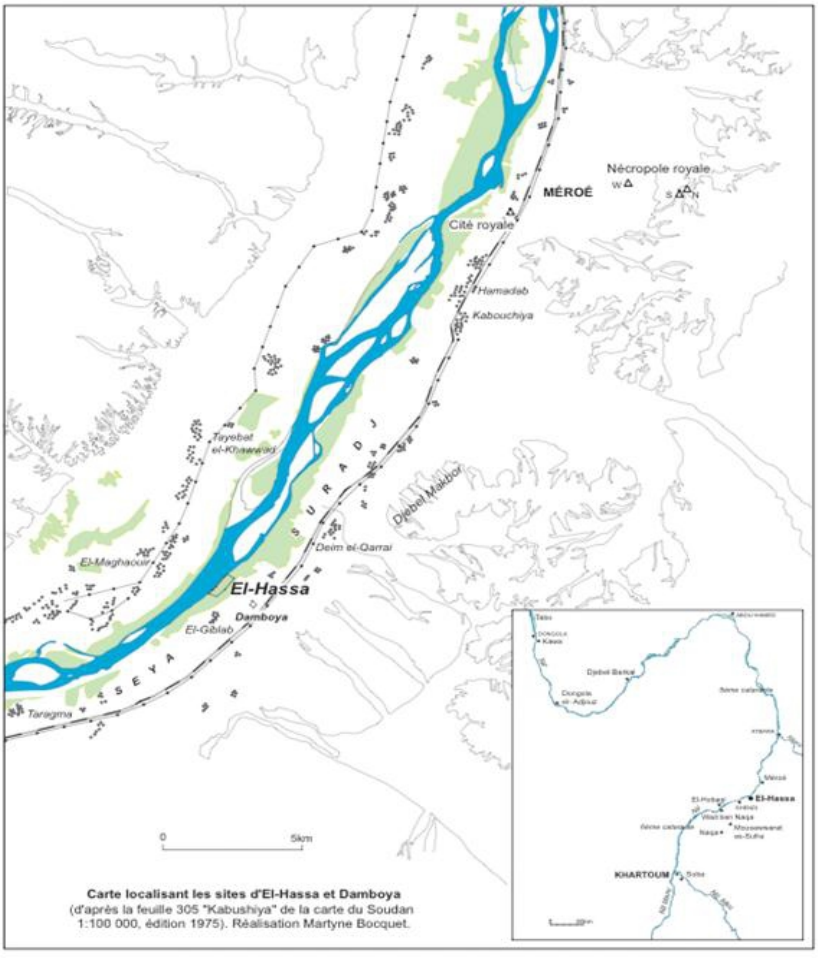

خريطة رقم (2) : موقع الحصا بالنسبة لجزيرة مروي

عن (Rondot. V, 2002)

وقد أجريت زيارات ميدانية أولية عديدة منذ بدايات عام 2000 بغرض التحقق من توثيق المستوطنات الحضرية المروية في كل من ود بانقا،

حوش بانقا، الحصا، العواليب وأبو رتيلا، لاختيار موقع من بين هذه المواقع المروية يكون مناسباً لتحقيق أهداف المشروع.

ووضعت – خلال الدراسات الأولية لهذه المواقع – المعايير التالية لتحقيق أهداف المشروع من خلال موقع يكون :-

اولاً : واعداً بتقديم فكرة حول طبيعة منظومة (شبكة) المستوطنات المروية المنتشرة في محور شندي الآثاري.

ثانياً : مستوطنة حضرية مروية يمكن من خلاله الإستفادة من الخبرات الطويلة للبحث الفرنسي في واحدة من أغنى المستوطنات الأثرية في مجال الآثار السودانية.

ثالثاً : ملائماً ليكون مدرسة لتدريب ناشئة آثاريي جامعة شندي والجامعات الأخرى وضباط الآثار بالهيئة العامة للآثار والمتاحف تستفيد من خبرات وتقنيات المدرسة الفرنسية في مجالات التنقيبات الآثارية.

رابعاً : متميزاً بقربه الجغرافي من الخرطوم، لما يحققه من ربط النشاط الآثاري في الحقل مباشرة بإدارة الوحدة الفرنسية والهيئة بالخرطوم، وفي ذات الوقت يمكِّن من التعريف بنشاطات البحث الآثاري للعامة مما يسهم في زيادة الوعي به لديهم.

وكل المواقع التي تمت زيارتها خلال المسوحات الأولية تقع على امتداد جانبي طريق (الخرطوم – الجيلي – شندي – عطبرة) المعروف بطريق التحدي، وتؤرخ كل هذه المواقع للفترة المروية. وموقع ود بانقا – على سبيل المثال ″07 ° 33 E / ″31 ° 16 N هو الوحيد من بينها الذي كان قد نُقِب بصورة جزئية وقدم معلومات مهمة للغاية في شكلها الأولي. وهو اليوم يعاني وضعاً سيئاً من حالة حفظ تتطلب عملاً بحثياً ميدانياً للحفاظ عليه ووضع

برامج لحماية الأجزاء المكتشفة فيه ونشر نتائج تلك الأعمال وهو الأمر الذي بدأ يتحقق الآن من خلال بعثة آثارية تشيكية بدأت إعادة استكشافه مؤخراً.

ولا شك أن موقع حوش بانقا ″21 ° 33 E / ″40 ° 16 N ، وهو عبارة عن كوم محفوظ بشكل جيد، يجذب إليه الإهتمام الآثاري، إلا أن افتقاره إلى المجموع الحضري الذي يمكن أن تقدمه هذه المواقع نسبة لتدميره بفعل تحوله إلى منطقة نشاط زراعي، يقلل من فرص احتمال الحصول على نتائج علمية مطمئنة تحقق أهداف مشروع كهذا.

أما موقع الحصا Tabakha بالمروية / دامبويا ″E / ″47 ° N16 36 ° 33 بالقرب من قرية ديم القراي (خريطة رقم 3).

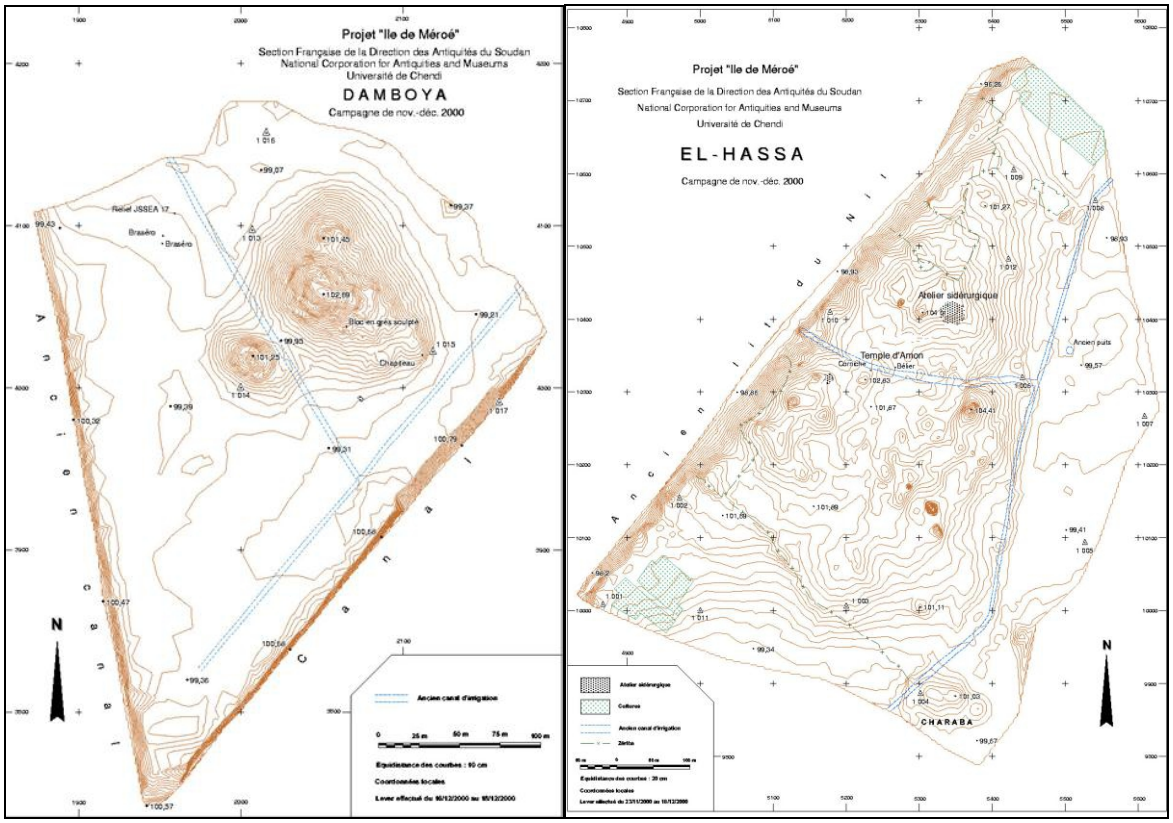

خريطة رقم (3) : موقع الحصا Tabakha بالمروية / دامبويا

عن (Rondot. V, 2002, fig 14)

بالإضافة الى موقع العواليب/ أبو رتيلا N16° 52′/ E33° 42′ الى الشرق من قرية كبوشيه, فقد ولدا يقيناً بالحصول فيهما على مبانٍ صروحية (Monumental) من الحجر الرملي ومعابد، فكلا الموقعين يشكلان وحدة مترابطة لم يجر فيها بحث علمي قبلاً. وقد بدا موقع الحصا/ دامبويا, واعداً جداً من خلال ما لوحظ من ظهور تمثال الإله آمون المعبود الكوشي في شكل كبش على سطح الموقع (شكل رقم22).

شكل رقم(22) : تمثال الكبش على السطح قبل التنقيب

(تصوير الباحث: 1995)

بجانب وجود قاعدة من الطوب الأحمر لأحد أعمدة (كورنيش) معبد (شكل رقم 23).

شكل رقم(23) : كورنيش معبد آمون بالحصا مقارناً بمعبد الأسد بالنقعه عن (Rondot. V, 2000)

وقد كان متوقعاً الحصول على معبد للإله آمون ودلائل كتابية بالموقع, وهو ما تأكد لاحقاً بتقدم البحث. فتمثال الإله آمون قد نقش على قاعدته اسم ملك يقرأ: اماني خا رع كاريم ما زال غير موثق على وجه دقيق ولم يذكر حتى الآن بشكل واضح في سلسلة توريخ الحكام المرويين، ويبدو النقش الذي يظهر الملك يضرب بقوة أعدائه مؤشراً آخر لأهمية المعطيات التاريخية التي يمكن أن يقدمها هذا الموقع بالإضافة إلى أن الكوم البائن على السطح والمغطى بقطع مختلفة الأحجام لبقايا طوب وبياض حوائط ملونة، يُمكن من توقع العثور على مبنى عمارته – ربما – ذات طبيعة دينية أو مدنية عالية المقام. وقد تلاحظ أن ترعة صغيرة حفرت في الموقع لأغراض الري الزراعي، ومن خلالها يُتوقع أن يكون المبنى محفوظاً على عمق أكثر من أربعة أمتار،

ويقع موقعا الحصا/دامبويا في منطقة ذات غطاء نباتي كثيف (شبه غابية) مما يوفر له حماية ضد التعرية، ذلك على النقيض من موقعي العواليب/أبو رتيلا الذين يقعان على جانبي الوادي في منطقة مكشوفة وخالية من الغطاء النباتي ومفتوحة مباشرة من جميع جهاتها وذات أرض طبيعتها توفر الحجر الرملي.

كل هذه العوامل والأسباب مجتمعة تمثلت في العوامل الآثارية والتاريخية وحالة حفظ المواقع, بالإضافة إلى العوامل الموضوعية والتي تعين على تنفيذ مشروع البحث، قد قادت إلى اختيار موقعي الحصا/دامبويا كموقع لحفريات البعثة المشتركة التي بدأت أول مواسمها في نهايات عام 2000م وما يزال المشروع متواصلاً حتى الآن.

يبعد موقع الحصا ″36 ° 33 E / ″47 ° N16 أقل من حوالي 200 كلم شمال الخرطوم على طريق (التحدي)، ويبدو أنه كان يبعد أمتاراً قليلة عن الضفة الشرقية لنهر النيل، ويبعد حالياً حوالي 450 متراً عن ضفة النيل، فربما غير النيل مؤخراً مجراه قليلاً إلى الغرب.

وقد كان الموقع معروفاً غير أن نشاطاً آثارياً عملياً من أي نوع لم يجر فيه. وقد وجه الموسم الأول لتنفيذ الخرائط الطبوغرافية للموقع قبل بدء الحفر. وأكد هذا الموسم المعلومات السابقة حول الموقع، وتم إجراء دراسة حول اسم الموقع Toponomy، فقد كان الموقع حتى قبيل إجراء الدراسة يعرف بأسماء مختلفة، حتى أنه في بعض الخرائط المختلفة كان يشار إليه بأكثر من اسم، وتمت مراجعة بعض الهيئات الإدارية في المنطقة مصلحة المساحة ووزارة الزراعة لمقارنة الوثائق فيها بالملاحظات الميدانية حتى يمكن تحديد المنطقة الأثرية على وجه الدقة فيتمكن مكتب آثار ولاية نهر النيل في شندي من اتخاذ إجراءات حمايتها. وقد استمر هذا الموسم لمدة شهر.

وقد اعتمدت المعلومات الأساسية السابقة حول الموقع على كتابات الرحالة الأوروبيين عن آثار السودان المختلفة، وبصورة أساسية على كتابات أبرز ثلاثة منهم شكل وصفهم للحصا بعد زيارتها المصدر الأساسي المكتوب حولها.

فالسويسري جون لويس بوركهاردت (المعروف بشيخ ابراهيم) يعتبر من أوائل الأوربيين الذين وصلوا إلى أبعد من أبو سمبل جنوباً عبر النيل إلى منابعه وقام بنشر نتائج رحلته في لندن بعنوان: Travells in Nubia for the Association for promoting the discovery of the interior parts of Africa.

وقد كان بوركهاردت أول من قدم وصفاً للحصا يعود تاريخه إلى زيارته لها في مايو من عام 1814م. (Burchardt;1819,362).

أما لويس ماوريس ادولف لينانت دي بلفوند فهو جغرافي ومهندس ثم لاحقاً وزير الخدمة العامة المصرية تحت حكم محمد علي باشا، فقد كان ثاني من ذكر وصفاً للحصا في نوفمبر من عام 1821م.

وقد كان فريدريك كايو مستخدماً من قبل محمد علي باشا كذلك للتحقق من واكتشاف مصادر المعادن (الذهب) التي أشار إليها قبلاً الجغرافيون العرب بالسودان، وقد وصف في مؤلفه رحلة إلى مروي (Voyage á Meroe) الحصا التي زراها في الثالث من أبريل عام 1822م.

وشقت قناة مائية عام 1975م عبر الموقع لري المناطق الزراعية داخله وحوله لفتت الاهتمام الآثاري إليه, فقد ظهرت على السطح – نتيجة لعمليات شق القناة – قاعدة من الحجر لعمود من الطراز المصري وتمثال في هيئة كبش، وقد كانت هذه المعثورات دليلاً قوياً لوجود معبد للإله آمون يؤكد ما جاء في وصف الرحالة في القرن التاسع عشر، (Geus, Reinold, 1979, 9sq).

وقد أعاد الوصف المنشور لقاعدة التمثال (REM 1151) موقع الحصا مجدداً إلى دائرة الإهتمام بالآثار السودانية.

دلالات الأسماء :-

بالرغم من أن الإسم (الحصا) مايزال مستخدماً ليشير إلى الموقع، إلا أنه لم يظهر إلا نادراً في بعض الدراسات الحديثة، وقد ذكرت الحصا تحت عدد كبير من الأسماء المختلفة، الأمر الذي أبرز احتياجاً لإجراء دراسة حول هذه الأسماء للخروج بأنسبها الذي يمكن أن يُعرِّف الموقع بشكل أدق.

وقد كان من بين الأسماء التي أشير بها للموقع: الحصا (El-Hassa)، المرسى (El-Mersa)، مشرع الحصا (Meshra al-Hassa)، سيال سراج (Seyal Suraj)، ديم القراي (Deim el-Qrrai)، القبلاب (Giblab).

وقد تمت دراسة هذه الأسماء بصورة أساسية وسط السكان المحليين بالمنطقة، ومقارنة تلك الأسماء ودلالاتها إلى ما تشير إليه على الأرض، ثم أجريت مطابقات لها في (قاموس اللهجة العامية في السودان) الذي وضعه البروفيسور الراحل عون الشريف قاسم.

الحصا: El-Hassa :-

إن هذا الإسم مشتق من جذر الكلمة العربية حصا (Gravel) التي مفردها حصاة لتشير إلى المنطقة الحصوية على ضفة النهر (عون الشريف قاسم ، 1985م، 281). وقد ذكر الأهالي أنهم يقصدون بها منطقة الكوم الأثري بالموقع.

مشرع الحصا:El-Merssa, Meshra el-Hassa, Mersa el-Hassa:-

هي المنطقة التي يعبر عندها النهر (البنطون) بين ضفتيه، حيث كانت المنطقة مشرعاً لعبور النهر، وكان البنطون مستخدماً فيها قبل سنوات خلت، إلا أن الأهالي لم يستطيعوا تحديد فترته التاريخية ولم تؤكد هذه الرواية

حتى الجهات الرسمية، كما لم يؤكد الأهالي أن اللفظة ربما كانت مشرع الحسن.

سيال سراج Sayal Siraj, Saiyal Sirag, Seyal Suraj :-

هو اسم مرتبط بالنوع المعروف من شجر السيال الشائعة جداً تسمية الأماكن الجغرافية به في السودان، ونسبة إلى الشيخ سراج المشهورة روايته وسط الأهالي من أنه كان زعيماً امتلك أراضٍ واسعة بالمنطقة مكافأة له على أيام الإنجليز وكان قد عدا بحصانه على مسافة واسعة من الأرض محدداً بذلك ملكيتها، وكان قد بدأ عدوه – بحسب رواية الأهالي – من التراجمة في الجنوب إلى كبوشية شمالاً، فأطلق الإسم بذلك على المنطقة من قبل تابعيه وصارت المنطقة معروفة بـ(سيال سراج). ومن بين هذه المنطقة مساحة مازالت تبدو عليها بقايا غابات عشبية واسعة هي التي أشار إليها لينانت دي بلفوند.

ديم القراي Deim el-Qrrai :-

كلمة (ديم) معروفة في العامية السودانية وتشير إلى الأماكن الجغرافية التي تشمل معسكراً سكانياً على أطراف المدينة. أما القراي فلقب شائع أيضاً ومتجذر في السودان وهو من القراءة يوصف به من يشتغل بها بكثرة وقد جاء على صيغة المبالغة من الفعل قرأ (قرَّاء على وزن فعَّال) (كثير قراءة القرآن). وبحسب رواية الأهالي هو الشيخ محمد العشرة الذي كان يتمتع وسطهم بزعامة روحية عالية، ولقب كذلك بالخواض على نفس الصيغة من الفعل خاض ويذكرون من كراماته عبوره البحر (النهر) خوضاً (سيراً على سجادة الصلاة على سطح الماء)، وهو مدفون بالضفة الغربية من النيل، حيث تقابل الموقع من تلك الجهة قرية (طيبة الخوّاض) المعروفة حتى اليوم، وهذا اسم ذو شهرة واسعة، وديم القراي تقع على الجهة الشرقية وهي المنطقة الأوسع جغرافياً

تضم عدداً من القرى والمناطق الإدارية الصغيرة حتى صارت المنطقة تعرف بديم القراي الكبرى.

القِبْلاب Giblab :-

الإسم منسوب من القِبْلي (الشرق) حيث تشير العامية السودانية إلى جهة الشرق بلفظة (القِبْلي) وتطلق بصفة خاصة على البرق الذي يلمع في جهة الشرق التي كثيراً ما تأتي منها الأمطار. وتعني الكلمة كذلك أعلى النهر أوجنوباً (قبلي وبحري). وهناك قرية في المنطقة معروفة باسم (حلة القبلاب) تقع إلى الجنوب الشرقي من الموقع الأثري.

وقد خلُصت الدراسة إلى أن الإسم (الحصا) هو أكثر الأسماء دقةً ليشير إلى الموقع الأثري، نسبة لأنه يقع تحديداً في النطاق الجغرافي للإسم، بينما تشير بقية الأسماء إلى منطقة أكبر لا يقع ضمن حدودها الموقع، ثم إن هذا الإسم (الحصا) هو الذي كان مستخدماً حتى حين قدوم الرحالة الأوربيين الأوائل ليشير تحديداً إلى الكوم الأثري. وان اسم (الحصا) كان يشار به – سواء وسط الأهالي أو عند الأوربيين – فقط إلى منطقة الكوم الأثري بينما تشير الأسماء الأخرى إلى مناطق قريبة منه.

أما الموقع الآخر الذي يبعد حوالي 1.4 كلم جنوب شرق الحصا، فقد عرف في المنطقة باسم الدامبويا (Damboya) (N16° 46′E 33° 37 ″)، وهو بلا شك ذات الموقع الذي ذكره هنكل (NE-36-013-W-3) في خريطته الآثارية للسودان تحت اسم ديم القراي أو كريد القراي. وقد جاء في وصف الموقع أنه به كوماً مغطى سطحه بقطع الفخار والطوب الأحمر وبقايا ملاط (Plaster) حوائط داخلية وخارجية بألوان حمراء وزرقاء وصفراء، كما وصفه كذلك فرانسيس قوز بذات الأوصاف، غير أنه ذكره باسم الحصا (Geus; 1977: 20).

إن اسم الكريد قد يبدو صعب الفهم بعض الشئ إلا أنه اسم شائع في العامية السودانية، وقد ذكر عون الشريف (975:1985) أن لفظة الكريد يشار بها إلى جزيرة صغيرة ليست بها صفات الجزيرة المعروفة بشكل واضح، ولكنها تتميز بخصائصها الزراعية. ولكن الأمر لا ينطبق على هذه الحالة لا من حيث الوضع الجغرافي ولا من حيث روايات الأهالي التي بدت متضاربة عند وصفهم للمنطقة بهذا المعنى، وقد ذكر الأهالي أن لفظ الكريد يصفون به نوعاً من النبات ينمو في الأراضي المالحة التي لا تغطيها مياه الفيضان.

وتعني لفظة (دامبويا) عند الأهالي الكوم المرتفع من الأرض، ويطلقونها على الأكوام العالية بغض النظر عن كونها قديمة أو حديثة. فعندهم – على سبيل المثال – دامبوية شغبة) ويشيرون بها إلى كومين (مزدوجين) صغيرين يقعان إلى الجنوب الشرقي من الحصا، وينسبون الإسم (شغبة) إلى امرأة انتبذت عندهم مكاناً قصياً من أهلها، ولم يشيروا في رواياتهم حولها بأكثر من ذلك، كما أن هناك أيضاً (الدامبويا البيضاء) – حسب قولهم – إلا أنها ليست ذات صلة بموضوع الدراسة.

إن استكشاف معبد آمون، خاصة المذبح (altar)، من الناحية المعمارية ومعرفة التسلسل الزمني ومراحل البناء كانت هي الأهداف الرئيسية لبداية العمل في هذه المدينة. وتم فتح المربعين (E 52 40/ N 103 50) و (E 52 30/ N 103 60) في مساحة 200 متر مربع. المربع الأول هو الأقرب إلى الحائط المتوسط الذي يفصل المعبد إلى جزأين شمالي وجنوبي. والثاني هو الأقرب إلى جهة المذبح. وقد تلاحظ أن الحائط في جزئه الشمالي أقل تهدماً عنه في جزئه الجنوبي، لذا فقد قدم العديد من المعلومات الجيدة عن الهيكل العام لمدخل المعبد، تمثلت في وجود كتلة ثابتة من الحجر الصلب الأسود مماثلة لكتلة حجرية أخرى في الجزء الجنوبي في منتصف الحائط

الخارجي الذي قوي بعمود من الحجر وربما دللت بدرجة عالية على وجود سارية في المدخل الصروحي للمعبد. كما تلاحظ أيضاً وجود حطام لقاعة أخرى بعد المدخل تمتد في شكل بروز إلى جهة الغرب في محاذاةِ مدخلٍ يفتح أيضاً إلى جهة الغرب ليقود إلى القاعة الأولى. والقاعة الصغيرة مزودة بفناء وربما أُلحق بها سلم يقود إلى أعلى الحائط ، وهذا الجزء يشبه في تخطيطه العام تخطيط معبد آمون بالنقعة وهو نفس الأمر الذي يتكرر في الجزء الجنوبي. وتلاحظ كذلك وجود عدة نقاط على واجهة الحائط الشمالي بها آثار تدلل على أن ترميمات لاحقة ربما أجريت في هذا الجزء من الحائط، ويبدو أن حادثة – ربما – تسببت في تهدم هذا الجزء غير أن سببها لا يزال مجهولاً مما أدى إلى أن ينفصل حائط الوسط عن بقية البناء.

أما المربع (" 60 ˚ 30 N ″ 30 ˚ 52 E)، فقد أظهر في جزئه الشمالي حائطاً بدا مفصولاً كذلك عن بقية البناء، وقد بدا ركام هذا الحائط مبعثراً بصورة أساسية إلى جهة الشمال وتعرض هذا الركام إلى عمليات حفر مكثفة في فترات لاحقة بفعل نشاطات الأهالي لإعادة استخدام الطوب لأغراض بناءهم الحديث. وفي بعض الأحيان يوجد الطوب ملتصقاً بعضه إلى بعض، ولا يوجد ملاط أو قطع تحمل نحتاً أو نقشاً بعكس الحال عند المدخل الصروحي في الجزء الشمالي. وبدا واضحاً أن هذا الجزء من الحائط قد أجريت فيه أيضاً عمليات ترميم لاحقة دون زخرفة أو طلاء (ملاط). وبملاحظة القاعة الأولى ظهر أن هناك طبقة من الطمي ملأت كل بهو القاعة الداخلي في هيكل البناء، والتحمت هذه الطبقة الطموية مع زينة أساس الأرضية، وربما يمكن تفسيرها بكونها جزء من بناء ملحق ذي أرضية مبلطة! أو مكان لنوع من التصنيع؟! والحفرة هنا تم تفريغها من الطوب بفعل نشاطات الأهالي بحثاً عن الطوب، غير أن هذا النشاط ساعد في تتبع أساسات بناء حوائط المعبد، فهذا

الخندق المحفور يستمر موازياً حائط المعبد في كل جوانبه بعمق متر واحد. وظهرت مؤشرات هذا النشاط بوضوح من خلال وجود الرمل الأصفر الذي ردم الحفر الأول للأهالي. ويضيق اتساع الخندق عند العمق، ورُصَّ الطوب رصاً غير منتظم في شكل أفقي دون وجود مساحات تذكر بين كل طوبة وأخرى.

ووضع الطوب في عكس اتجاه مسار الخندق، وربما يكون وضع الطوب أفقياً (على الحافة) بغرض مقاومة ضغط الهواء الأفقي. وتمت ملاحظة بعض الملاط على الطوب ووجد الطوب في أحايين كثيرة من امتداد الخندق ملتحماً به مباشرة، وينتهي علو الطوب المشكِّل للحائط بنفس علو الخندق، غير أنه ربما كان ممتداً حتى نهاية ارتفاع البناء واصلاً إلى السقف!؟ ويمتد هذا البناء المتسلسل من الطوب ما بين الحائط الجنوبي للمعبد والحائط الخارجي (الغربي) منه. ويمتد كذلك إلى منطقة المداخل الصروحية في جهة الشرق. وقد تلاحظ بصورة عامة أن بناء الحوائط لم يقم تماماً على أساساتها وإنما يبرز عنها قليلاً، وطُليت الأساسات الأرضية بنفس مادة طلاء الحائط الخارجي للمعبد، ويكوّن الأساس هنا بروزاً ناتئاً أشبه بقاعدة مسطحة لعمود، والحوائط الداخلية للمعبد كانت مرتفعة وفي صفوف منتظمة في شكل عمودي ورأسي وبنيت من الطوب المحروق وكونت أشكالاً مربعة ومستطيلة.

لقد وجهت الحفريات لتنقيب جزء أكبر من المعبد لمحاولة التوصل إلى التسلسل الزمني ومعرفة شئ عن تاريخه وطريقة وأسلوب بنائه بشكل أوضح، خاصة وأن أعمال الحفر السابقة كشفت طوب البناء القديم، الأمر الذي أخفى بعض المعلومات مما استدعى التركيز في هذا الموسم على هذا الجزء منه، وقد كشفت التنقيبات الأولية في هذا الموسم عن مجموعات من الأدوات المتعلقة بالطقوس التعبدية وضعت في حالتها الأصلية (in situ) وكانت قد

بدأت تتكشف في نهايات الموسم السابق. ولذلك تركز العمل في هذه المرة بصورة أساسية على منطقة المحراب من المعبد.

ويمكن القول أن المعبد من الزاوية المعمارية يضم صالات ثلاث يتصل كلٌّ منها بالآخر ومفتوحة بعضها إلى بعض وتقود كلها إلى المحراب الذي وضع في نهايتها. والصالة الأولى عبارة عن بهو يقع مباشرة خلف بوابة المعبد الأساسية التي وضعت في جهة الشرق واتخذت الشكل الصروحي المعروف لمعابد آمون (شكل رقم 24).

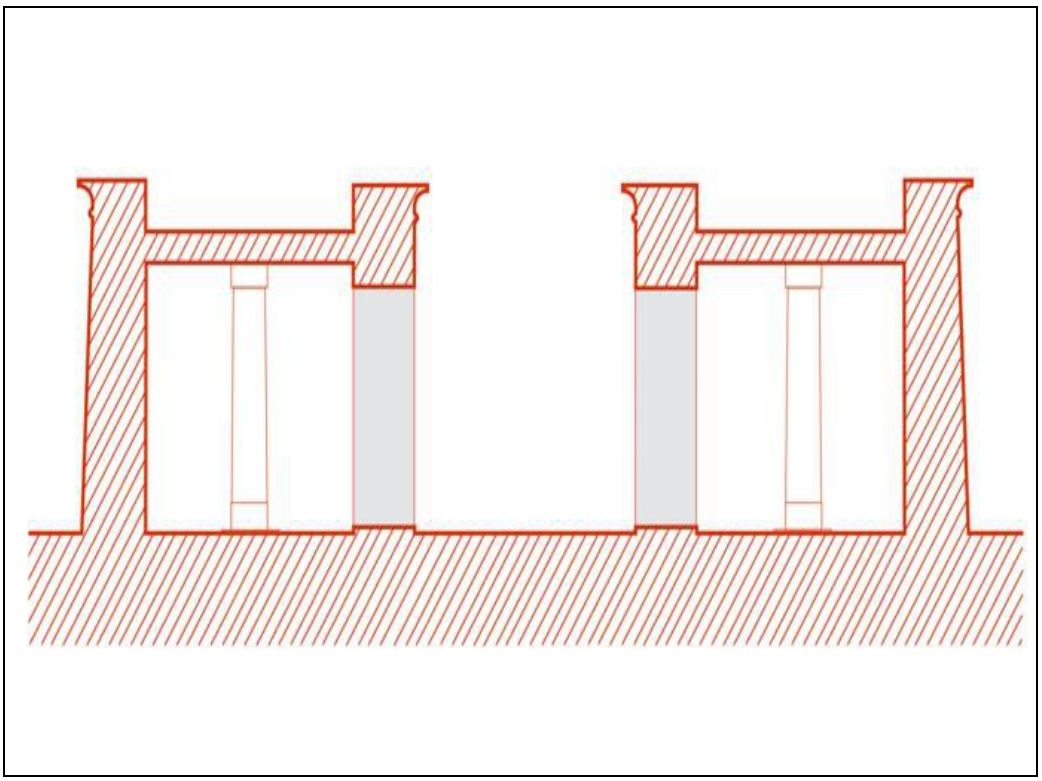

شكل رقم (24) : البوابة الصروحية لمعبد الحصا

إعادة بناء(Reconstruction)

عن (Rondot. V, 2004)

والبهو عبارة عن فناء واسع مفتوح في جوانبه الجنوبية والشمالية ليفتح بدوره على رواق جانبي مُحلى في كل جوانبه بصفوف مزدوجة من

الطوب المحروق والحجر الرملي. ثم تأتي بعد ذلك صالة صغيرة (Hypostyle Hall) بها عمودان من الحجر الرملي مزدانان في أسفلهما – على الأرجح – ببروز. أما الصالة الثالثة والأخيرة فتقع مباشرة قبل المحراب وبها عمودان من الطوب المحروق بهما طبقات من الملاط (Plaster). وتفتح الصالتان الثانية والثالثة على صالات جانبية – وربما – كانت الصالة الشمالية مخصصة لمذبح ضخم.

ولقد وجد بين الأنقاض التي تغطي حطام المعبد الكثير من أجزاء الهياكل المنحوتة والمرسومة، ومنها نستنتج أن المعبد كان بأكمله مزيناً بالأشكال البارزة المنحوتة على الملاط الذي ما يزال سليماً، وكان يغطى به الطوب الآجر ثم تتم بعد ذلك عملية النحت. وهذه المنحوتات البارزة تم تلوينها بعد ذلك بألوان صارخة تعكس تفاصيل ملابس الملوك والآلهة، كما تظهر الأزهار والأشكال الهندسية التي كانت تزين الأعمدة (شكل رقم 25).

شكل رقم (25) : حوائط مزينه بالوان صارخة

(تصوير الباحث: 2006)

وجفون العيون تم تشكيلها بواسطة أقراص من المعجون الأسود. والرسم الجانبي ذو الحجم ضعف الطبيعي هو غالباً ما يكون للحاكم وهو يقدم القرابين أمام آلهة المعبد. وقد تم التعرف على الحاكم بلحيته الدقيقة الصفراء الداكنة المرسومة على بشرته ذات اللون الأحمر الداكن. (شكل رقم26).

شكل رقم(26) : وجه الحاكم يظهر لحيته الدقيقة الصفراء الداكنة في المعبد عن (Rondot. V, 2002, fig 4)

وقد تم العثور أيضاً على مزراب (سبلوقة) من الحجر الرملي منحوت على مؤخرتها أسد راقد على بطنه (شكل رقم 27).

شكل رقم(27) : مزراب (سبلوقة) من الحجر الرملي في المعبد

(تصوير الباحث: 2004)

هذا المزراب كان في الأصل واحداً من سلسلة مزاريب منصوبة على أعلى الجدران (السقوف) الخارجية للمعبد، على نفس مستوى الشرفة مشكلاً سقفاً لتصريف مياه الأمطار خارج المعبد، هذه الإجراءات التقنية يفهم مغزاها لإدراك غزارة المياه في موسم الأمطار بالبطانة، التي بدأت تتجدد في الأوقات الراهنة بالمنطقة، غير أنها تمثل أيضاً إجراءات حماية سحرية – بسبب وجود شكل الأسد– ضد القوى الشريرة التي ربما تهدد هذا المكان المقدس: المعبد.

وكما بدا واضحاً اليوم، فإن هذا المبنى عانى كثيراً عبر فترات التاريخ المختلفة، فقد تهدم في الماضي في تاريخ لا يزال مجهولاً، وتم بناؤه من

جديد بصورة متواضعة. بعد ذلك بفترة طويلة، وخاصة في سبعينات القرن الماضي تمت الإستفادة من الطوب الآجر المروي الضخم الجاهز لإعادة الإستخدام مرة أخرى. فقام أصحاب مقاليع الطوب بتتبع الجدران وحفر فتحات عميقة لاستخراج الطوب منها. وإن كانت عمليات السرقة هذه قد أضرت بشدة بحطام المعبد، إلا أنها أوضحت نظام تشييد المبنى، ومكنت بالتالي من وصف طرق البناء التي كان يتبعها المعماريون والبناءون في العهد المروي. الأمر الذي كان يمكن أن يكون مستحيلاً إن كانت المباني محفوظة بشكل أفضل.

المحراب :-

لقد كان من حسن الطالع أن الأهالي لم يصلوا إلى أرضية المحراب التي بدا أنها غطيت بركامات انهيارات السقف المتهدم والحوائط الجانبية في وقت ما. ويبدو من خلال أشكال الطوب والملاط، إن السقف قد كان في شكل (ظهر الثور) (Vaulted).

وفي منتصف المحراب يوجد مذبح متواضع من بعض الحجارة التي أعيد استخدامها في بنائه وربما بني في نهايات استخدام المحراب الذي يشير موضع المذبح فيه إلى أنه كان مستخدماً لأغراض الشعائر التعبدية، بينما الصالات الجانبية ربما خصصت لأغراض غير مرتبطة بالشعائر.

الأدوات الطقوسية :-

في هذا الموسم تم الكشف عن مجموعة من الأدوات الطقوسية وجدت مبعثرة حول المذبح، وجزء منها مطمور بين ركامات الحوائط والسقوف المتهدمة، ووجد بعضها الآخر بائناً على سطح الأرضية الأساسية حول المذبح. ومن بين تلك التي وجدت متراكمة بعضها فوق بعض تم العثور على فأس يدوية (Hand axe) من الحجر الأسود المصقول من فترة العصر

الحجري الحديث (HAS 148)، بالإضافة إلى جزء من تمثال للإلهة ايزيس (HAS 150) (الشكلان رقم28 و29).

شكل رقم (28) : الكشف عن تمثال للإلهة إيزيس في المعبد

عن (Rondot. V, 2005)

شكل رقم (29) : جزء من تمثال للإلهة إيزيس في المعبد

عن (Rondot. V, 2005)

وجزء آخر من تمثال للإله آمون (HAS 149) من الفترة المروية (شكل 30).

شكل رقم (30) : جزء من تمثال للإله آمون في المعبد

عن (Rondot. V, 2005)

وجزء من مطرقة (Hummer stone) ترجع إلى العصر الحجري الحديث (HAS 151)، وجزء من إناء في شكل طبق من القاشاني الأخضر (HAS 146) من الفترة المروية وجدت بقاياه متناثرة (HAS 145) بجانب العديد من المعثورات الأخرى وجدت في ركام الطوب المتناثر في المذبح.

كل هذه المعثورات ساعدت في فهم كونها كانت مجموعات استخدمت في ذات فترة استخدام المذبح وهي الفترة المروية بما في ذلك تلك التي تعود إلى العصر الحجري الحديث حيث ربما أعيد استخدامها ثانية هنا! أو وضعت داخل المذبح بغرض حفظها!؟.

وهناك مجموعة أخرى من الأدوات وضعت في هذا الجزء من المذبح وجدت في وضعها الأصلي ربما استخدمت في الطقوس التعبدية، من بينها قطعة كبيرة من الحجر الرملي الأصفر وضع أمام المذبح وعليه إناء من الفخار مكسور، وبجانبه حجر أملس السطح أسود وفي تكوينه درجات من الحديد ربما أريقت عليه الخمر أو الزيت واستخدم كمائدة قرابين (HAS 210)، وإلى الشمال قليل من قاعدة الحجر الرملي الأصفر وجدت فأس يدوية كبيرة (Neolithic Handaxe) (HAS 206)، وعلى امتداد الجزء الجنوبي للمذبح وجد قرص من الحجر الرملي واسطوانة من الفخار ترجع إلى العصر الحجري الحديث (HAS 203) (شكل رقم31).

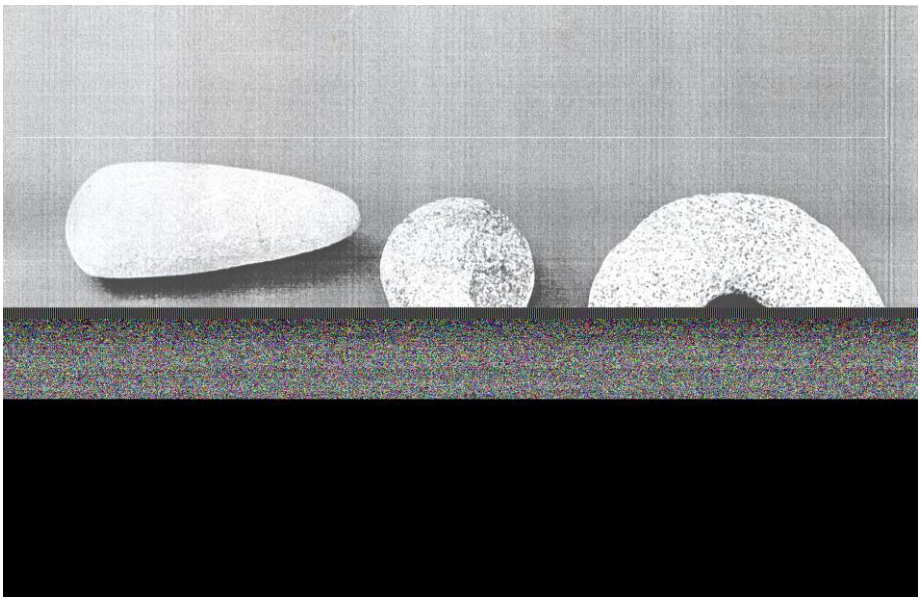

شكل رقم (31) : أدوات من العصر الحجري الحديث في المعبد

عن (Rondot. V, 2005)

أما الأدوات التي كُشفت مخبأةً فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام، مجموعة من القاشاني وثلاث برونزيات جميعها مروية الصنع، بجانب مجموعة من القاشاني المزخرف بعضها في شكل خرطوش بيضاوي الشكل به زخرفة في شكل ريش وكوبرا، بالإضافة إلى جزء أعلى من صدر تمثال الإله آمون يمثل

بصورة واضحة الإله آمون في معبده. وهناك اثنان من النقوش الهيروغليفية المروية وجدا منقوشين في دعامة عمود من الحجر الرملي من شأنهما أن يقدما معلومات مهمة فيما يختص بالكتابة المروية، بالإضافة إلى أوانٍ من الفخار المحروق ومن الخزف وقنينات ربما كانت معدة خصيصاً لاستخدامها الطقوسي (خمر + زيت)، ومن بين البرونزيات الثلاث واحدة في شكل جذع تمثال لإلهة أو ملكة مروية مثبت على عصا (HAS 197) (شكل رقم 32).

شكل رقم (32) : البرونزيات الثلاث

عن (Rondot. V, 2005)

ومما لا شك فيه أن أدوات العصر الحجري الحديث، والتي تم العثور عليها هي جزء من الأثاث الذي استخدم في الموقع، وليست مؤشراً –

بالضرورة– إلى وجود عصر حجري حديث به، بل أعاد المرويون استخدامها هنا فقط في الطقوس الدينية.

كما أن وجود العديد من القطع المصرية الطابع، والتي من بينها تماثيل متقنة الصنع، يلفت الإنتباه بسبب وجوده في محراب معبد آمون بالحصا، كما تلاحظ أيضاً أسلوب صنع تمثال الإلهة إيزيس الذي صنع بنفس الأسلوب البطلمي (شكل رقم 33)، ويدلل كل ذلك على قدم معبد الحصا وربما يرجعه على وجه التقريب إلى نهايات القرن الأول الميلادي.

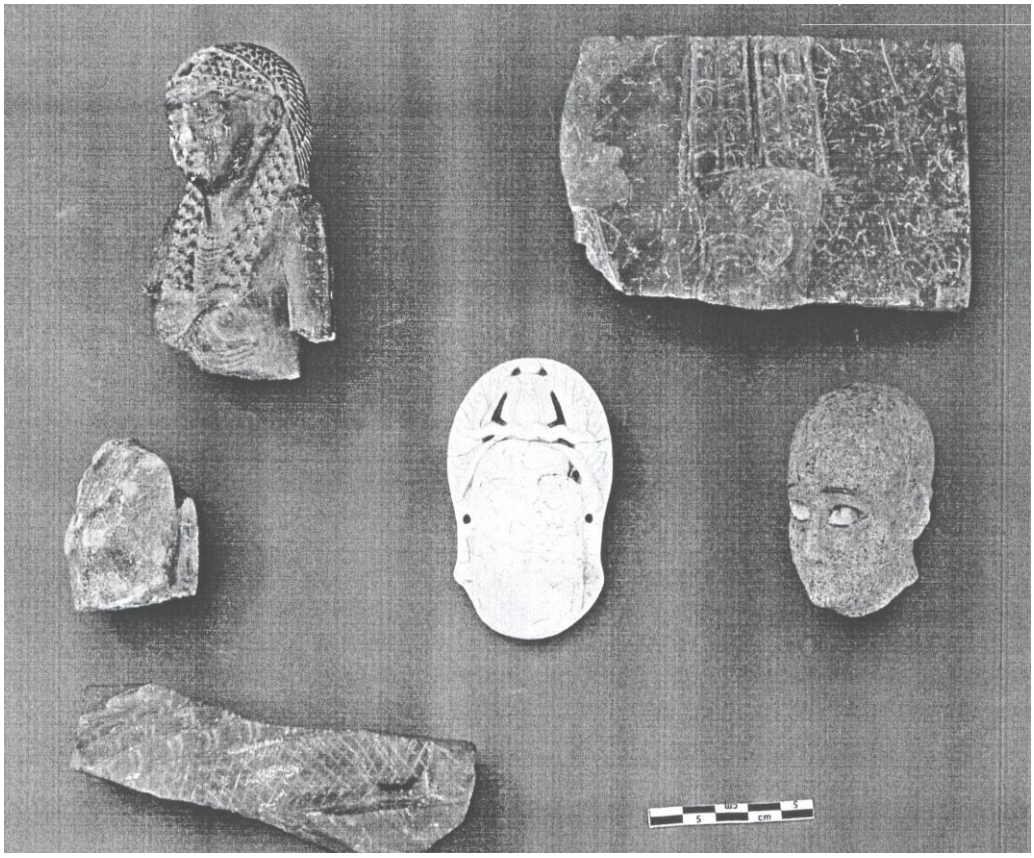

شكل رقم (33) : القطع المصرية الطابع في المعبد

عن (Rondot. V, 2005)

وثائق دلالات اسم الملك امنخركريم :-

عند بداية التنقيب في المستوطنة المدنية المروية بموقع الحصا عام 2000م، كانت هناك أربع وثائق تشير إلى وجود ملك مروي (كور Qore) يدعى نب معات رع أماناخاركرم، من المرجح أن يكون مدفنه ضمن المدافن الملوكية بمروي، ولم يتم التعرف عليه على وجه الدقة، غير أن هنكل –على سبيل المثال– يحدده بالمدفن رقم (30) في مجموعة المدافن الشمالية (Hinkel:1977,(NE-36-013-J-1-(1-.(Beg.N.30)

(Beg.N.Cemt. Superstruct),57). وتضع القائمة التي تحوي أسماء الملوك المرويين حكمه دون تأكيد حوالي عام 200م.

الوثيقة الأولى :-

هي عبارة عن تمثال لكبش تم العثور عليه لأول مرة عام 1850م بواسطة رحالة فرنسي يدعى بيير تريمو في سوبا عاصمة مملكة علوة المسيحية، وقام بوصفه في مؤلفاته (مصر وأثيوبيا) و(صروح القارة الأفريقية المشابهة) التي نشرها بباريس. وعلى قاعدة هذا التمثال يوجد نقش مكتوب بالهيروغليفية المروية ورد فيها للمرة الأولى، الإسم غير الكامل لملك (..... reqerem). (فانسان روندو وآخرون، ترجمة إيمان خبير ساتي، 2006م، 39).

الوثيقة الثانية :-

عثر عالم الآثار الأمريكي جورج آندرورايزنر، أثناء تنقيبه في معبد آمون الكبير بجبل البركل عام 1916م، على شكل غريب منحوت على الحجر الرملي، عبارة عن صندوق به فتحات جانبية ومزين برسومات تمثل الملك وهو يتعبد. وورد اسمه على مخطوطتين اسطوانيتي الشكل: نب معات رع اماناخاركرم. وعندما تمت لاحقاً مقارنة الإسم بالإسم المذكور على الكبش تبين

أن الأمر يتعلق بأداتين أمر بصنعهما نفس (الكور). (فانسان روندو: نفسه: 40).

الوثيقة الثالثة :-

وفي عام 1975م تم شق قناة عبر الكوم الأثري بموقع الحصا لري الأراضي الزراعية حول الموقع، وقد أظهرت عمليات الحفر تمثالاً لكبش من بين الرمال. وعندما عُرض على العلماء تعرفوا فيه على نفس النص الموجود في قاعدة كبش سوبا, وقد كشف تقدم البحث العديد من هذه التماثيل تحمل نفس النصوص شكل رقم (34).

شكل رقم (34) : كباش معبد آمون في الحصا

عن (Rondot. V, 2002, fig 8,9)

أثارت هذه الوثيقة الإهتمام بشكل أساسي، حول هذا الملك الذي لا يُعرف عنه سوى القليل. (فانسان روندو، نفسه). وقد تم حفظ الكبش مؤقتاً

بجامعة شندي، وهو معروض الآن بحدائق متحف السودان القومي بالخرطوم مواجهاً لرفيقه كبش سوبا (شكل رقم35).

شكل رقم (35) : كبش الحصا مقابلاً لرفيقه كبش سوبا

(تصوير الباحث: 2010)

وبمقارنة حجمي كبشي الإله آمون في كل من الحصا وسوبا وجد أن كبش سوبا يبلغ طوله 138cm وعرضه 36cm وارتفاعه 18cm وارتفاعه عند العنق 57cm, بينما مثيله في الحصا طوله 116cm وعرضه 53cm وارتفاعه 10.5cm وارتفاعه عند العنق 46cm, وهذه المقارنه تظهر الإختلافات بين حجمي التمثالين وتنفي في ذات الوقت الآراء الضعيفة التي رأت أن أصول تمثال سوبا ترجع الى الحصا. كما أن كباش الحصا أحجامها مختلفة وقواعدها أصغر حجماً.

الوثيقة الرابعة :-

لاحظت بعثة متحف برلين عام 1998م أثناء عمليات البحث في معبد الأسد بالنقعة وجود حجر لم يلفت الإنتباه من قبل، يحتوي على نص

مكوَّن من أربعة أسطر مكتوبة بالمروية المختزلة (الخط النسخي) وتبدأ بنفس الاسم: اماناخاركرم. (فانسان روندو: نفسه).

وتعتبر هذه الوثيقة، النموذج الوحيد المكتوب بالخط المختزل النسخي والوارد فيها اسم هذا الملك، ذات أهمية قصوى، فبنفس القدر الذي تتغير فيه طرق كتابتنا الحالية من جيل لآخر، تمثل الكتابات المختصرة القديمة تطوراً على مر الزمان يمكن استخدامه عنصراً للتأريخ. هذا الأمر هو ما حاول القيام به الباحث الفرنسي كلود ريلي مع النص القصير الذي ساعده على تقديم فترة حكم الملك اماناخاركرم إلى قرن كامل، أي حوالي القرن الاول الميلادي، وقد توصل إلى ذلك بفضل المقارنات التي أجراها بين النصوص. (فانسان روندو: نفسه).

إضافة إلى الوثائق الأربع التي ذكرت سابقاً، ولتحقيق أهداف مسألة اختيار موقع الحصا للتنقيب فيه، كانت هناك تقارير رحلات قام بها ثلاثة من الأوربيين في القرن التاسع عشر هي أفضل تقارير وصفت الآثار السودانية، واشير إليها مسبقاً، وهي تقارير السويسري جون لويس بوركهاردت الشهير بشيخ ابراهيم، والفرنسيين لويس موريس أدولف لينانت دي بلفوند وفريدريك كايو. فقد كان بوركهاردت أول من عثر على آثار الحصا في مايو 1814م ووصفها في مؤلفه (رحلات في النوبة). أما لينانت دي بلفون وكايو، فقد زارا الموقع على فترات متباعدة في نوفمبر 1821م وأبريل 1822م. وتحدث الاثنان عن معبد وتمثال كبش مدفون جزئياً.

إن تماثيل الكباش هذه تزين طريق المواكب الذي يقود إلى الباب الرئيسي للمعابد المهداة لآمون، فالكبش هو الحيوان الذي يتجسد فيه الإله (عندهم). وقد توصلت لهذا من معابد صلب وجبل البركل، ومعابد مروي أو

النقعة بالنسبة للفترة المروية ويتواصل الأمر الآن في معبد الحصا (شكل رقم 36).

شكل رقم (36) : تماثيل الكباش تزين طريق المواكب في معبد آمون بالحصا (تصوير الباحث: 2006)

وأثناء التنقيب في معبد الحصا، كانت بعثة متحف برلين بالنقعة تنقب في معبد صغير جوار معبد آمون بالنقعة، ودلت المنحوتات الجدارية التي كشفوا عنها متهدمة وكانت تزين جدار هذا المعبد، على أنها تحمل أيضاً توقيع (الكور) أماناخاركرم، وبذلك فإن هذا الملك المروي الذي كان لا يُعرف عنه سوى بعض الآثار المتفرقة، أصبح له الآن معبدان يحملان اسمه، فالمعلومات التي توفرت –بالتالي– وعن مكان هذا الملك في التسلسل الزمني لملوك مروي، ووجود مبنيين للعبادة مشيدين بناءً على أوامره، لابد أن تسهم بشكل أوضح في فهم المعلومات التي كانت متوفرة عن نب معات رع أماناخاركرم.

3/ موقع مويس:

يقع موقع مويس الى الجنوب من مروي العاصمة بحوالي خمسين كيلومتراً (خريطه رقم4).

خريطه رقم (4) : موقع مويس ومواقع المدن حول مروي

عن (M. Baud, 2008, 61)

ولم تكن طبيعة الموقع معروفة بشكل واضح حتى تمت فيه المسوحات الأولية التي بدأها أولاً كل من الباحثين باتريس لونوبل الفرنسي وأحمد الأمين أحمد (السوكري) مدير مكتب آثار ولاية نهر النيل في مدينة شندي, وقد أجرى الباحثان المسح الأول في عام 2003 ونشرا نتائج بحثهما الأولية في دورية (السودان والنوبة) الإنجليزية (Lenoble and Sokari:2005).

ومن خلال انتشار المخلفات السطحيه, خلص الباحثان الي اعتبار الموقع مستوطنة مروية شاملة (واسعه) يعود تاريخها على الأقل من الفترة

الكلاسيكية الي الفترة المتأخرة من مروي. (أي من الفترة الممتدة من القرنين الأول الى الرابع الميلاديين).

وتضم المستوطنه مبنىً رئيسياً جعلت منه المخلفات الأثرية المنتشره على سطحه كوماً ترابياً كبيراً معروفاً محلياً بإسم (قلعة الحُواره), بجانب إنتشار العديد من كسارة ألواح الحجر الرملي التي غالباً ما تشير لوجود معبد, وقد دللت عمليات هذا المسح على وجود منطقةٍ استيطانيةٍ سكنيه بجانب وجود مناطق للورش والصناعات, خاصةً والموقع مغطىً سطحه جزئياً ببقايا خبث صناعة الحديد.

وقد أظهرت نتائج هذا المسح الواعده الحاجة لتنظيم برنامج عمل متوسع فيه, وأوصت بالبحث عن مؤسسة علمية لدراسة الموقع بصورة تفصيلية.

لذلك فقد بدأت مؤخراً بعثة متحف اللوفر الفرنسي في باريس إجراء حفريات ذات مدىً متوسع ومطول (Long-term Excavations) في الموقع, ذلك ضمن اهتمامات المتحف بدراسة المراكز الحضرية في قلب مراكز الحضارة المروية. وقد مثلت تقارير هذه البعثة, بقيادة الآثاري الفرنسي الراحل ميشيل بود (Michel Baud), الأساس الذي استندت عليه المناقشات التفصيلية حول هذا الموقع لمحاولة ربطه في إطار منظومة المواقع الحضرية في المنطقه في محاولات فهم طبيعة المستوطنات المروية ضمن هذه الدراسة, ذلك بجانب المشاركات المتعددة للباحث في العمل بحكم تقاربه العلمي والمكاني مع الموقع والبعثه. خاصةً وأن الموقع تتهدده حالياً , وبشده , أنظمة الرَّي الحديثه . بجانب الإنتشار الواسع لأشجار "المسكيت" عليه. وقد تطابقت أهداف البعثة مع اهداف هذه الدراسة المتمثلة في محاولة فهم الطبيعة العامة لتخطيط المدينة المروية وعمارتها ومن ثم دراسة العناصر الثقافية للمستوطنة الحضرية, خصوصاً وأن مسألة دراسة التركيبة المعمارية لمخلفات المدينة المروية تمثل

حجر الزاوية لفهم الجوانب المختلفه للحضارة المروية, وهي المسألة التي مازالت محلّ غموض بين الباحثين. (Edwards:1999c ;67-68 and following discussion p.97; also Edwards:2004,147-149) .

مؤشرات التعرف على موقع المدينه:-

إن التعرف على وحدات الموقع وإنشاءاته المعمارية المختلفة مثلت هدفاً للبعثة وبالتالي لهذا الفصل من هذه الدراسة. وقد أمكن التحقق من هذا الهدف باستخدام وسائل متداخله من بينها رسم خارطة طبوغرافيه للموقع (شكل رقم 37).

شكل رقم (37) : خارطة طبوغرافيه لموقع مويس

عن (M. Baud, 2008, pl xxi)

بالإضافة إلى الصور الجوية, المسوحات السطحيه والمسوحات المغنطيسية, بجانب النظافة السطحية (surface cleaning) التي أزالت المخلفات الأثرية المنتشرة على السطح والمتمثلة في قطع كسارة الفخار وقطع

كسارة الطوب المحروق وقطع حجارة الرّحى ومخلفات بقايا عمليات صهر الحديد, ولم تكن هناك دلائل بناء ظاهرة على السطح فيما عدا بعض مخلفاتٍ لحوائط تأثرت بالتجويه أو تهدمت بفعل الجرافات.

إن الموقع في حالته الراهنة محاط بحزام من الزراعة ما يجعله يبدو كجزيره من الرمل وسطها, ومساحته أربعمائة وخمسون متراً من جهة الشرق إلى الغرب وثلاثمائه وخمسون متراً من جهة الشمال إلى الجنوب بمساحة كلية تبلغ 16.5 هكتاراً, وربما كانت له امتدادات جنوبية كما تظهرها الصورة الجوية الملتقطة عام 1979, وهناك حوالي 1.3 هكتاراً من مساحته الآن تحت المنطقة الزراعية ومحاطه بقناة مائية للري, تمر خلال الموقع وتفصل كوماً جنوبياً صغيراً (palace A) عن بقية أجزاء الموقع. وفي الناحيتين الشمالية والشرقية, حيث تعصف الرياح الرملية الطبيعة في المنطقة المكشوفة, يصعب تحديد الحدود بشكل واضح بين المنطقة القديمة والمنطقة الحديثة, كما أن نشاطاتٍ واضحاً أثرها لجرافة كبيرة دمرت الطبقات الأثرية حتى عمق مترٍ واحدٍ تحت الأرض الزراعية الحاليه, مما يشير الى أن الموقع في الأصل كانت مساحته أكبر حجماً مما تبدو عليه اليوم, كما يبدو أن المستوطنه القديمة ربما لم تشيد على تربه حصويه أو رمليه, بل شُيِّدت على تربةٍ نيليةٍ بنيةٍ تختلط بها الأملاح مثلما عليه الحال في مدينة مروي العاصمة على سبيل المثال (Shinnie and Bradley:1980,27), إلا أن الإنحدار هنا تبلغ نسبته 0.7% باتجاه النيل, أي نحو الشمال الغربي.

ومن حيث الطبوغرافيه, فإن الموقع يتكون من ثلاثة اكوام في شكل تلال متفرقه عن بعضها البعض تفصل بينها مساحات مستوية السطح, وأكبر هذه الأكوام يمتد إلى الجهتين الغربية والشرقيه ويبلغ ارتفاعه عن مستوى سطح

الارض ما بين المترين إلى ثلاثة أمتار, أما أصغرها حجماً فيقع إلى الجنوب منهما, ويبدو أنه أعلاهما , ويبلغ ارتفاعه حوالي الأربعه أمتار.

إن الوسائل المختلفة التي استخدمت في التعرف على طبيعة الموقع المبدئية, وسبقت الإشارة إليها قبلاً, تعطي فكرة عن نظام توزيع المدينه وعلاقته بطبوغرافيه وطبيعة الأرض, ذلك برغم أن الحذر يبدو واجباً في هذه المرحلة المبكرة من البحث, وربما تبدو هذه التفاصيل المبدئيه واضحةً في الشكل (شكل رقم 38).

شكل رقم (38) : تفاصيل توزيع وحدات موقع مويس

عن (M. Baud, 2008, pl xxii)

المستوطنة والصناعة في الكوم الشرقي:-

هذه المنطقة من الموقع كانت هدفاً لفتح أربعة مربعات هي (tar 2,19,21,24), بعمق ثلاثة أمتار اخترقت الرَّمل والرَّماد والطين أو مختلطة

حوت قطع كسارة الفخار وقطع حجارة الرَّحى ومخلفات خبث الحديد وقطعاً من الطوب المحروق وغير المحروق وفحماً وعظاماً حيوانيه, كلها مخلفات تدلل على نشاطات استيطانية حقيقية.

وكان قد تم سابقاً حفر خندق إختباري (Lenoble and Sokari 2005 :, 59-60) بمساحة 6×8 أمتار, لاختبار الطبقات ودراستها, وقد تم أيضاً وضع امتداد لهذا الخندق بمساحة 6×6 أمتار إلى الغرب منه, وقد عثر الباحثان على العديد من الحوائط المبنية من الطوب الأخضر, تقريباً فى كل مستوىً من مستويات الحفر, ومعظم الحوائط وجدا سمكه يتراوح بين (340/380×170/190×70/9mm) وبدا لهما أن امتداد الحوائط نحو الشمال الشرقي بميلان زاويته تتراوح بين 40 الى 60 درجة ومحفوظة بشكل جيد حتى ارتفاع يصل مابين ثلاثة الى أربعة (مداميك) كما ظهر لهما أن بقايا مواد البناء قد استخدمت عدة مرات في بناءات لاحقه, إلا أن الصعوبه بدت لهما واضحة في محاولة تحديد كل مرحلة من مراحل البناء, إلا أن ثمان مراحل من البناء أمكنهما ملاحظتها, بعضها متلاصقه طبقاته تلاصقاً مباشراً وبعضها الآخر فصلت بينه مسافات زمنيه ربما نتجت عن هجر للسكن أو تغير في وظيفة البناء, وقد دلَّل على ذلك وجود حفرة محيطها ثلاثة أمتار وعمقها يصل الى 1.8 متراً مبتدئةً من الطبقة الأقدم.

وقد أظهرت الإختبارات المغناطيسية التي أجرتها البعثة الحاليه إمتداداً واسعاً لهذا الجزء من المستوطنه, حيث ظهرت في بعض الحالات خطوط حوائط تمتد في نفس اتجاه مخلفات المباني التي أظهرها الحفر الإختباري في الخندق B, وهذه النتائج أمكن اختبارها باختبار الحوائط المباشرة تحت سطح مساحة صغيرة (45 × 25) متراً ضمت الوحدات C/D لتشير إلى منطقة بناء مفتوح بما يوحي بكونه منزلاً يتجه نحو الشمال الشرقي بزاوية يبلغ

ميلها خمسين درجه, إن كلا الوسيلتين اللتين استخدمتهما البعثه والمتمثلتين في المسح المغناطيسي ونظافة السطح, قد أشارتا الى منطقة واسعة خُصِّصت لصناعتي الفخار والحديد في الجزء الشمالي الشرقي من الكوم, وتُظهِر هذه المنطقة وبقية أجزاء المستوطنه في الجزء الجنوبي B, مستوياتٍ من البناء متأخره, حيث تنتشر هنا, وعلى نطاق واسع, طبقات من الرَّماد سوداء بحيث تشير إلى أنشطة سكانية منزلية. الأمر الذى يعضِّده العثور على أنابيب فخارية وقناة صغيره شقت على الأرض بجانب العديد من بقايا الجرار, وتركُّز خبث بقايا عمليات صهر الحديد قريباً من السطح.

إن منتصف منطقة الصناعة هذه, هو عباره عن كومٍ كبير محيطه خمسون متراً, مغطىً سطحه ببقايا كسارة الفخار وتستمر الكساره في عمقه وتختلط بالرمَّاد وبكميات كبيره من خبث الحديد. وقد أمكن هنا التعرف على فرنين لصناعة الفخار هما Fa F1 و 2 (شكل رقم 39) خلال عمليات النظافة السطحيه في الجزء الشمالي من الكوم, بالاضافة إلى فرن آخر Fa F3 وُجد تحت الفرن رقم 2 وأعيد استخدامه كأساسٍ لبناءٍ تالٍ.

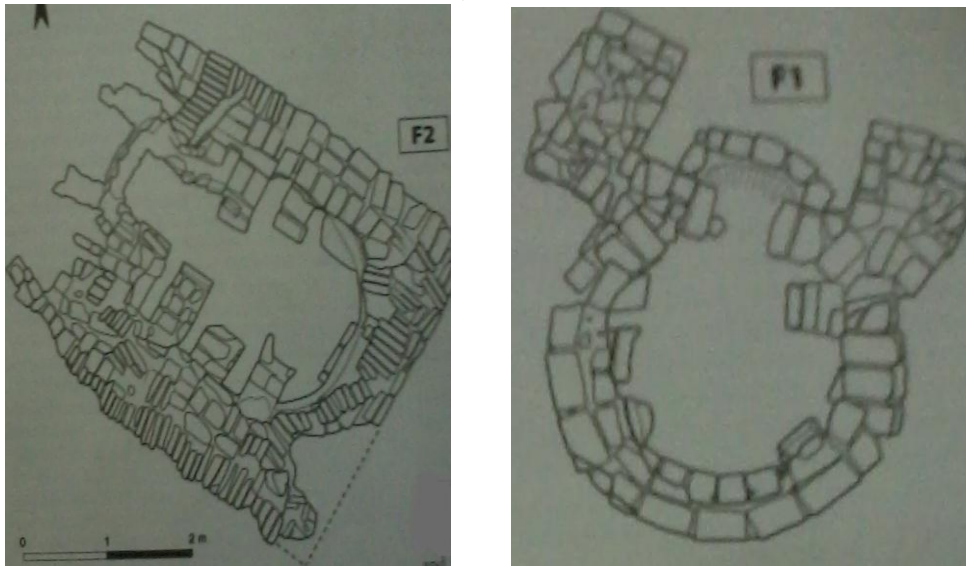

شكل (39) : الفرنان F1 وF2

عن (M. Baud, 2008, 54, fig1)

ولم يتشابه أي من الأفران في اتجاه مدخل الفرن, بينما وُجهت الأفران الأخرى, التي أشارت اليها الذبذبات المغناطيسية المركزة, إلى جهة الغرب تماماً.

إن الفرنين (1,3) معروفان بشكل جيد, حيث هما من النوع ذي الغرف المزدوجه وليسا – دون تأكيد– مُقَبَّبَين. (Adams:1986, 13–33; Ahmeds:1992,76–77,83–85; Adams:2005:46–47,112–116). والأجزاء السفلى فقط هي التي حُفظت بشكل جيد, تحديداً تحت السقف الذي حمى بدوره غرفة الحرق. ولما كان الفرن (1) مايزال محتفظاً بارتفاع يبلغ المتر الواحد, فإن هذا يدلل على الإرتفاع الأقصى لغرفة الحرق فيه. إن محيطه الداخلي ما بين 1.6– 1.7 متراً, بجانب حائط سورٍ بسمك أربعمائه وخمسين ملمتراً, ويأخذ بناؤه في مرحلته الأخيره من الإرتفاع نحو السقف شكل ظهر الثور (vaulted) وقد دعِّم بناء الفرن بواسطة حوائط سميكه.

أما الفرن(3) فلم يتم بعد تنقيبه, إلا أن جزءه الخارجي يبدو حجمه أكبر ومحيطه الخارجي يبلغ 3.8 متراً, وكالعادة, فإن هذين البناءين (الفرنين) قد وضعا عميقاً داخل الأرض بصورة جيده راعت فيما يبدو عمليات التهوية المطلوبه للحرق, حيث اختلطت بشدةٍ الطبقات الحاوية بكثافه لكسارة الفخار الناتج عن عمليات الحرق المتكرره, وقد ظهر أن بعض كسارة الفخار قد تعرضت لإعادة حرق مستمرة حتى بدا العديد منها متفحماً ومختلطةً به كذلك قطع كساره الطوب.

إن سقف غرفة الحرق في الفرن (1) بدا أنه دُعِّم بواسطة ثلاثة أقواس تفصل بينها مسافة تبلغ فقط 150–100 مليمتراً, ومسافةٌ ضيقه تقطعَّت بفتحات لتوزيع الحراره في غرفة الحرق.

إن الحال ليس هو نفسه بالنسبة للفرن (2) حيث تبدو الأقواس في هذا الفرن أكثر اتساعاً ويبلغ الإتساع 250 مليمتراً, ويبدو حجمه من الخارج مستطيلاً مساحته 4.4 × 3.7 متراً, غير أنه يبدو من الداخل في شكل شبه دائري وتبلغ أبعاد الغرفه 2.25 × 2 متراً. وحفرة التسخين عبارة عن رواق ضيق مساحته 650 × 800 مليمتراً. وبه قناتان متعامدتان طولياً وعرضياً على جوانبه. إلا أن هذا الشكل المستطيل للفرن, بالإضافه الى حوائطه السميكه وممره الطويل, ربما يبرز التساؤل حول وظيفته كوسيلة إمداد لمبنىً آخر لم يعرف بعدُ, أو أنه يشير الى استخدامات غير معروفة على وجه الدقة حتى الآن.

ولما كان انتشار خبث الحديد محصوراً فقط –هنا– على السطح بصورة عامة, فإن هذه الافران لم تستخدم لعمليات صهر الحديد, ذلك برغم وجود بعض الدلائل, إلا أنها عبارة عن كومين من القطع الصغيرة المتناثره, كما أن غياب الآنية الفخارية هنا أو أدوات صنعها يؤشر الى وجود منطقة التصنيع في مكان آخر, وهو الأمر الذي يماثل الحال في المصورات الصفراء (المواد المكتشفه في الحوش 22) (Edwards:1999a, 37–79). كما أن غياب مثل هذه المخلفات في قاعدة حوائط الفرن يتعارض مع افتراض وجود منطقة التصنيع, وهو بدوره يشابه كذلك حالة مروي (Shinnie and Anderson:2002,73–79).

إن الكميات الكبيرة من التماثيل الطينيه البشرية (عددها 69) والتماثيل الحيوانية (عددها 256), والتي عُثر عليها قريباً من الأفران وحولها, وفي كل مراحل التصنيع, بجانب لمبات الجاز الفخارية المصنوعه مختلطه في بعض الحالات من الطين, ربما تشير الى أن الأفران قد شهدت استخدامات متنوعة متعلقه بصناعة الخزف والفخار. وهناك مؤشرات أُخرى تدلل على أن

صناعةً للجرار المروية الجميلة الصنع (Meroitic fine jars) قد مورست في الموقع. وعلى عكس ماكان قد أُفترض سابقاً, فالآن يمكن ملاحظة أن إنتاج الجرار المروية وتصنيعها لم يكن قاصراً على المناطق الشمالية فقط من السودان المعروفه بالنوبة السفلى سابقاً! . (Žach:1988,140-141), فمنطقة مروي مثلاً, ومن خلال المصورات الصفراء, قدمت ورشاً لتصنيع الفخار مشابهه. (Török:1997a,173-174; pl-140-143 .(Edwards:1999a

واذا كانت مويس قد صنعت ايضاً الجرار الصدفيه (egg shell vessels), فإن فرضيةً يعوزها التأكيد تبرز أن هذه الصناعة تمثل حوالي 1% من نشاطها الفخاري. حيث أن 1% فقط من بقايا كسارة الفخار تستمر في مناطق أخرى متفرقه من المدينة (أعمال النظافة السطحيه في المنطقة A والخندق الإختباري B), وهذا الأمر مشابه جداً لما لوحظ في مروي بواسطة البعثة المشتركه بين جامعتي الخرطوم وكالقري الكنديه, حيث تبلغ النسبة هناك 1.8% (Robertson and Hill:2004,table p2).

الكوم الغربي:-

إن هذا الجزء من الموقع يعاني دماراً جزئياً بعوامل طبيعيةٍ وبشريه, حيث تنتشر فيه أشجار "المسكيت" على نطاق واسع, وكذلك به كميات كبيره من الرمل على سطحه, بالإضافه إلى استخدامه حالياً – وبصورة جزئية – كحظيرة لحفظ أبقار بعض الأهالي. وهي المشكلات التي يواجهها العديد من المواقع في المنطقة, غير أنها عولجت هنا منذ بداية العمل.

وقد أظهرت نظافة الجزء المنحدر إلى الجهه الجنوبية (المربعات 26,23,5) أن المنطقة هي عبارة عن منطقة استيطان (settlement area), كما أظهرت أيضاً نتائج المسح المغناطيسي (magnetometer) شبكةً

متقاربةً من المباني والحوائط, وأغلب سطح هذا الجزء مغطى بقطع عديدة متكسرة من حجارة الرَّحى المصنوعة من حجر الكوارتز (quartzite) تغطي مساحة كبيرة (70 متراً من الغرب إلى الشرق) و(35 متراً من الشمال إلى الجنوب). وهناك منطقة في هذا الجزء (المربع 5) تحتوي على رماد صافٍ أو مختلطٍ ببعض الشوائب يصل عمقه الى 1.7 متراً. وهذه المعطيات تحتاج لاختبارها بواسطة التنقيب الذي ربما يساعد في التعرف عما إذا كان هذا المكان مخبزاً كبيراً ؟! .

المركز التذكاري The Monumental Center :-

هناك كوم يقع بين الكومين السابقين, واللذين تفصل بينهما مساحة 150 متراً. هذا الكوم منخفض قليلاً وتغطيه الرمال, أظهرت نظافته منطقةً سكنيه يمتد عمقها إلى حوالي مترٍ واحد من جهة الجنوب (المربعات 29,28,9), وعمق يصل ما بين 1.7 متراً إلى مترين في منتصف الكوم (المربعين 23,4), وإلى مترٍ واحدٍ في جهة الشمال (المربع 14). وقد أظهرت الذبذبات المغناطيسيه في هذه المساحة الواسعة نتائج متقدمة (شكل رقم 40).

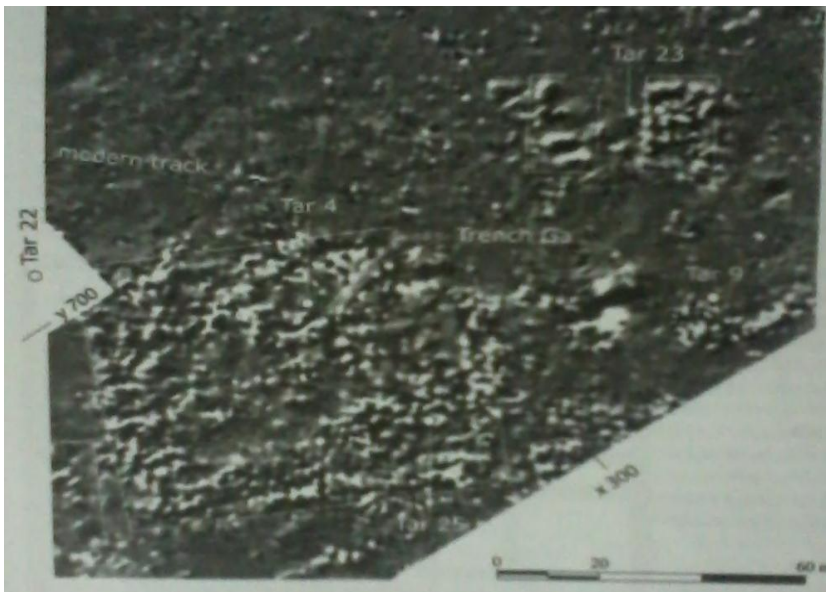

شكل رقم (40) : خارطة مغناطيسية لمركز المدينة

عن (M. Baud, 2008, 55, fig 2)

حيث ظهر مجمع رئيسي من البناء أبعاده 60×80 متراً قريباً من الحد الجنوبي الشرقي للكوم الغربي. وقد ظهر أيضاً خندق اختباري مستطيل وصغير تم حفره (trial Ga) عدة مراحل من البناء بحوائط منتظمة عند مستويات محددة (سمكها ما بين 750 الى 850 مليمتراً) إلا أنها صغيرة وأقل سمكاً في مستوياتٍ أخرى, غير أنها جميعها تتجه نحو الشمال الشرقي بزاويةٍ تبلغ 29 درجه. وقد بُنيت الحوائط من الطوب اللبن في مستوياتها السفلى, إلا أن الحائطين الأخيرين منها أعيد استخدام الطوب المحروق في بنائهما (trial B) وقد أمكن ملاحظة المرحلة الأكثر حداثةً عن المراحل السابقة لها, ذلك أنها تختلف في اتجاهها اختلافاً كلياً, وقد تم العثور أيضاً على مخلفات مسكن كبير يعود تاريخه إلى فترة مابعد مروي أو ربما أحدث وهذا المسكن غُرَفُه الأساسية طويلة (6×8.5) متراً لها سقف مدعم بثلاثة حوامل خشبية (لم يتم العثور عليها بالطبع) استندت على قواعد من الحجر الرملي, كما عثر أيضاً على بقايا أعمدة أعيد استخدامها في البناء (لا شك أنها من مبنىً مروي) (شكل رقم 41).

شكل رقم (41) : مسكن كبير

عن (M. Baud, 2008)

وقد أظهرت الإشارات المغناطيسية إلى الشمال من هذا المجمع الكبير مبنيين مستطيلي الشكل ومتوازيين أبعاد أكثرهما وضوحاً 12× 21 متراً, وأظهر الحفر هنا (المربع 23) قطعاً من الطوب المحروق وقطعاً من الملاط (plaster) الأبيض حتى عمق نحو 900 مليمتر تحت السطح (حوالي 800 مليمتر فوق مستوى التربة العذراء). وهذه المباني تبدو مرتبطةً برواقٍ (avenue) واسعٍ يمتد امامها متجهاً من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي, وهذا الرواق يقود إلى فضاء واسع مفتوح ربما يضم مبنىً آخر أو مجموعة مبانٍ في نهاية ناحيته الشمالية الغربية, وليست هناك مؤشرات واضحةٌ لوجود معبد ضخم يربطه هذا الرواق, ذلك برغم انتشار العديد من قطع الحجارة الرملية الصفراء المنحوتة في أجزاء مختلفة من الموقع مثل ذلك الكورنيش الذي عثر عليه سابقاً كلٌّ من لينوبل والسوكري (Lenoble Sokari:2005,60pl.4 and), بجانب قطع الأعمده التي عثر عليها الآن ولا توحي أحجامها الصغيرة بإمكانية وجود مبنىً طقوسي رئيسي.

إن الصورة العامة التي تقدمها المسوحات المغناطيسية تشير إلى الموقع باعتباره مركزاً تذكارياً يضم عدداً من المباني ومساحاتٍ مفتوحة, إتجاهه الاساسي إلى الجهة الشمالية الشرقية بزاوية ميلانها يتراوح بين 20 الى 40 درجة لتشير بصورة قاطعة إلى منطقة مركزية في هذا الجزء من الموقع, وهو القصر المعروف باسم (قصر قلعة الحوارة) الذي سيرد لاحقاً ذكره تفصيلاً في هذا الفصل من الدراسة, ويبدو القصر من هنا كمبنىً ضخم وواسع يميل إلى الشرق بزاويةٍ مقدارها 28 درجة وهذا البناءُ هو آخر جزء في الجهة الجنوبية من المركز التذكاري ويقع على بعد حوالي مائة مترٍ إلى الجنوب الشرقي من المجمع ذي المساحة البالغة (60 × 80) متراً ولم يشمله المسح المغناطيسي في هذه المرحلة من العمل ليربطه بالجزء الآخر من المدينة لأن قناةً مائيةً

حديثةً قد حفرت في الموقع فصلته عنه غير أن موضعه دليل على انتمائه لنفس الخارطة ليشير إلى كونه أحد المباني الواسعة والضخمة الملحقة بالمركز والذي يمثل بما يضمه من مبانٍ صلة مباشرة في منظومة البناء القديمة على النيل وهذه العلاقة مع النيل, وخصوصاً فيما يتعلق بوضع المعابد, هي ذات سمتين مصرية وسودانية معروفتين, حيث يمثل النيل زاوية الشمال المحفزة لتوجيه المباني نحوه جغرافياً ومعنوياً(eg.Meroe:Török:1997a,22) (Török:2002,11-16,19-34) بجانب محفِّزات اخرى متعلقه بالفضاء (السماء) والطبوغرافيه. ذلك في وجود علاقة –بالطبع– وثيقة بين آمون والنيل حتَّمت –ربما– وتحكمت في وضع المعابد على ضفاف النيل (Török:2002,11-34). وقد أوضحت الحفريات التي بدأت مؤخراً في بعض المواقع الجديده في السودان (النوبة العليا سابقاً) أمثلة إضافيه لهذا الأمر مثل الضانقيل حيث يميل المعبد فيها بزاوية تبلغ 10 درجات من مجرى النيل (Ahmed and Anderson:2005,15) (شكل رقم 42).

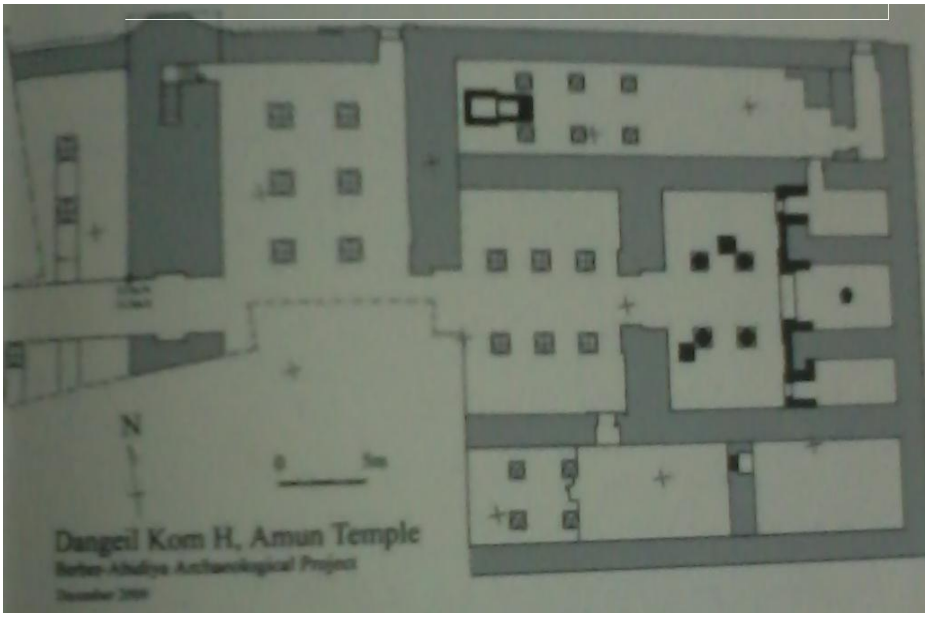

شكل رقم (42) : معبد آمون بالضانقيل

عن (Anderson. J and S. M. Ahmed, 2010, 10)

بالإضافة إلى الحماداب التي يتجه المعبد فيها بزاوية تبلغ 27 درجة عن سور المدينة و31 درجة من المنطقة السكنية (Wolf:2002,102), ونفس الأمر ينطبق على بقية المباني في المنطقة الجنوبية كما أوضحه المسح المغناطيسي في الحماداب (Goldmann et al:2007). وكذلك نفس الحال في مدينه الحصا حيث تميل الزاوية بمقدار 40 درجة بالنسبة لمعبد آمون وقصر الدامبويا لتتطابق مع المرقد القديم للنيل (Lenoble and Rondot: 2003,fig1), وكل هذه النماذج تشرح الإتجاه الأساسي المحلي للنيل في هذه المنطقة حيث ينحني قليلاً في مجراه شمالاً إلى جهة الشمال الشرقي. أما في مويس فان مقارنة اتجاهات النيل الحديثة من خلال الخرط القديمة والصور والتخيلات الجوية الحديثة بالإضافة إلى حدود المناطق الزراعية وحدود الموقع نفسه كل ذلك يشير الى انحراف للنيل عن مجراه القديم هنا نحو الشمال (Nile–north), يتراوح بين 50 الى 60 درجة وهو ما تحكم في وضع مباني الكوم الشرقي من المركز التذكاري.

قصر قلعة الحواره The Palace of Gala'a el– Howara :–

إن الكشف الرئيسي للمواسم الأولى كان هو القصر المروي (شكل رقم 43).

شكل رقم (43) : قصر قلعة الحوارة

عن (M. Baud, 2008)

وكان المسح السطحي الذي أجراه كل من لونوبل والسوكري سابقا قد اظهر مبنىً رئيسياً دلل عليه انتشار كسارة الطوب المحروق والقطع الصغيرة السوداء من ألواح حجر الفركريت الرملي (ferricrete sandstone) وقطع كسارة الملاط البيضاء بجانب كسارة الفخار التي تؤرخ جميعها وبشكل واضح بالفترتين الكلاسيكية والمتأخرة من عمر الدولة المروية.

وبعد أن بدأت البعثة في عمليات إزالة الشوائب من على سطح وجوانب الكوم بدأت تظهر مباشرة حوائط مبنية من الطوب اللبن يتراوح سمكها 1.5 الى 1.7 متراً (حوالي أربع طوبات ويتراوح طولها بين 370 إلى340 ملمتراً). وقد تُوبعت هذه الحوائط بنظافة من قمتها إلى عمق بلغ أربعة أمتار توقفت فيه المتابعة بعد أن بدا أنها تستمر إلى عمق أبعد. وفي الجزء الجنوبي من الكوم تتابعت النظافة إلى الحد الذي أوقفتها عنده عمليات الزراعة الحديثة. وكل الحوائط في هذا الجزء من القصر قد وضعت على عدة طبقات من ألواح الحجارة الرملية السوداء (Bradley:1984,285–286) وقد كانت مشابهة لتلك التي عثر عليها لونوبل والسوكري مما فسر بذلك استخدام الألواح السوداء, حيث وُجد عدد منها مكسراً في المناطق غرب المبنى ناتجة عن عمليات وضع قواعد الحوائط.

إن الخنادق العميقة التي حفرت في منتصف هذا الجزء من المبنى (الغرف 1–4) بامتداد قواعد الحوائط أظهرت أن القواعد أُتْبعت بأساسات من الطوب اللبن, ظهرت في بعض الحالات بارزة عن الحوائط, كما ظهر أيضاً أن المبنى قد وضع على التربة العذراء التي قُطعت بدورها على أنقاض استيطان مروي أسبق وهذه المستويات الأقدم قد فصلت إلى أربع مراحل في الغرفة رقم (3) وكذلك نقبت المرحلتان الأخيرتان في الغرفة رقم (2) بينما نقبت المراحل الثلاث الأخيرة في الغرفة رقم (4), وتشير مخلفات البناء بوضوح إلى منطقة

سكنية تضم حوائط من الطوب اللبن ومكاناً للنار يحوي جراراً مكسرةً ومبعثرةً على الأرضية (Ahmed S:1992,98; Edwards:1999a,9; Lenoble and Rondot:2003,110-111) . بالإضافة إلى كمية من عظام الحيوانات (ماشية وضأن) قد لوحظت خاصةً في الغرفة رقم (4) في طبقة بلغ سمكها 100 مليمتراً, بجانب طين غائص تحت السطح وحفر دائرية الشكل للتخزين وللنار (fire places), وكما هو الحال في مروي, فيبدو أن اللحوم كانت تمثل جزءاً مهماً في الغذاء (Carter and Foley:1980,310).

إن الحجم الحقيقي لهذا المبنى غير معروف حتى الآن على وجه الدقة, إلا أنه لايقل عن 51 متراً في امتداده من الغرب إلى الشرق و40 متراً في امتداده من الشمال إلى الجنوب, وتُظهر الخارطة الجزئية في الجزء الأوسط منه ممراً طويلاً وغرفاً طويلةً جداً وضيقة (11-14 × 2 متراً) كما تُظهر أيضاً غرفاً أكبر تشبه غرف قصر ود بانقا. والدمار الذي لحق بالبناء هنا هو ذاته في ود بانقا حتى في نسبته التي يمكن تقديرها بحوالي 10% وتزيد قليلاً في ود بانقا. ويمكن تفسير غياب بعض الحوائط الفاصلة بكونها أُزيلت من على السطح مما يعني أن الحوائط التي حُفظت بقاياها حتى المستويات السفلى, قد دُفنت تحت الأنقاض.

إن الغرف التي نُقبت بصورةٍ جزئيةٍ, لم تُشر حتى الآن الى أَيّةِ استيطاناتٍ سابقةٍ للقصر. وقد أظهرت خنادق أساسات هذه الغرف أنها رُدمت أيضاً تحت أنقاض بنائها وغُطيت نهاياتها بطوب وضع دون نظام على طول امتداد الحوائط, وليست هناك دُعامات لحوائط الطوب اللبن, وبدت الغرف فارغة ولاتوجد دلائل على استخدامها مما يشير إلى كونها دُعامات لتحمل طابقاً عُلوياً خاصةً أن الممرات بينها ضيقة جداً وتشير المعثورات التي وُجدت في مستوياتها الدنيا إلى أنها جاءت من تهدُّمات الطابق الأعلى وشملت هذه المعثورات قطعاً

عديدةً من الحجر الرملي الأصفر وكميات من قطع الملاط السميك الأبيض وفي بعض الحالات ذي طلاء أزرق بجانب طوب ذي أشكال خاصة ربما كورنيش؟.

إن القصور المروية سواءَ كانت في مروي أو في جبل البركل تحوي نفس هذه الخصائص التي يمكن تلخيصها في :-

أ- حجم كبير تتراوح أبعاده بين 50 و60 متراً.

ب- خارطة مربعة الشكل.

ج- طابقين يحويان غرفاً عديدةً دون مداخل في الطوابق السفلى.

د- تزيين الطوابق العليا بزخارف معمارية من الحجر.

(Hinkel and Sieversten:2002,71).

وموقع قصر قلعة الحوارة في مويس, من هذه النواحي, يبدو – مجدداً – مشابهاً لموقع قصر ود بانقا (Vercoutter:1962,279-287) ذلك بالرغم من أن منقبي ود بانقا لم يجدو علاقةً بين الغرف وبين المخازن, فرأوا – بالتالي خطأً- أن كل الغرف المغلقه هي ذات طابع متأخر, ولاعلاقة لها بالطابق الأعلى (Vercoutter:1962,281).

أن قلب المبنى فقط هو الذي مايزال محتفظاً بشكله الجيد حتى ارتفاع يصل إلى 3-2 متراً فوق مستوى الأساس, بينما تهدمت تماماً أجزاؤه الخارجيه, وبدا أن هذا الدمار ليس بفعل الطبيعه بل بشري, كما تبيّن أن الطوب المحروق هو الذي كان مستخدماً بصورة أكبر في بناء الحوائط الخارجيه وبناء الطابق الأول في كل المبنى, بينما استخدم الطوب اللبن فقط – وبشكلٍ جزئي – في بناء القواعد. وظهر في بعض الحالات أن كلا النوعين من الطوب (محروق + لبن) قد استخدما معاً, وقد بدا ذلك واضحاً في العديد من الحوائط في الجزء الشمالي, حيث استخدم الطوب المحروق في القلب

(المنتصف), وحُلِّيت الواجهات (الأطراف) بالطوب اللبن, وهو الأمر الذي بدا غريباً في هذه الطريقة, حيث يتوقع المرء الشئ المعاكس لهذا (القلب من الطوب اللبن – الواجهات من الطوب المحروق) كما هي العادة في مناطق أُخرى (Hinkel and Sieversten: 2002,71), بعكس الأدلة من الضانقيل (Ahmed and Anderson: 2005,13). إلا أن التهدم هنا يبدو أنه حدث مؤخراً مثلما الحال في الكداده والحصا. وقد أفادت استطلاعات السكان المحليين التي أجرتها وسطهم البعثة, أن القبه الإسلامية في حوش بانقا وجبَّانتها المحيطه بها, قد استخدم طوب القصر في بنائها. قد بدا هذا الامر – بالتالي– مرحلةً أخرى من مراحل تهديد الموقع, خاصة اذا علمنا أن الجبانة مازالت مستخدمةً حالياً وبصورةٍ مستمرةٍ ومتزايده, غير أن وعياً بين السكان بدأ ينشأ بأهمية الموقع نتيجةً لتقدم العمل مما يقلل خطورة التهديد على الموقع. و لايمكن اقتراح تاريخ محدّد لهذه الجبانة في غياب أيّ أثاث جنائزي في قبورها, إلا أن اتجاه القبور وغياب الفخار ربما يشير إلى تاريخ يعود إلى الفترة المسيحية, وقد أُخذت عيناتٍ من عظام هيكلين بشريين (Fo 4 and 8) لتحليلها بواسطة الكربون المشع (C14) أعطت تواريخ تعود إلى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين (من معمل كيكيربان في بروكسل Kikirpan Laboratory , Brussels), إلاَّ أن تاريخا ربما يبدو أنه أكثر تأكيداً جاء من حفر الخنادق (trials B , G and Fa) مشيراً إلى أن المرحلتين أو الثلاث مراحل الأخيره من البناء قد بنيت أجزاؤها السفلى بصورة أساسية من كسارة الطوب الأحمر, ومايزال بعضها محتفظاً بملَّاطه الأصلي الأبيض, ذلك بجانب العديد من الحجارة الرملية الصفراء والقطع المعمارية مثل بقايا الأعمدة أيضاً قد ضُمِّنت في بناء الأساس, كل هذا يشير إلى أن القصر كانت مواد بنائه تشكل

مصدراً لمواد بناء استخدمت في بناءات لاحقه, ربما شاركت القصر بعض الإنشاءات في المركز التذكاري تحمل هذه التدميرات.

تاريخ الموقع والمواد الثقافية – تاريخ أولي

–: Site History and Material Culture– First Date

إن المعطيات الثقافية التي جمعت من السطح أو من خلال التنقيبات تبدو من النظرة الأولية, متجانسةً وذات طابع واضح إمتداده من الفترة المروية الكلاسيكية إلى الفترة المروية المتأخرة, ومما يؤكد هذا التوريخ العثور على الجرار المروية الجميلة المزخرفة والمصنوعة من أصداف البيض والمعروفة ب Adams class M, Shinnie), "egg–shell" fine ware class F) والتي وجدت منتشرةً بصورة واسعة في كل طبقات الخندق B من المستوطنة الشرقية وحتى في طبقاتها المبكره (طبقات الإستيطان 95, 90, 14) وهذا يقود بدوره إلى افتراض نهايات القرن الأول قبل الميلاد تاريخاً لبداية استيطان المدينه, ذلك رغم أن اختلافاً بين الباحثين مايزال قائماً حول تحديد بدايات ظهور هذا النوع من الفخار. انظر مثلاً (Edwards:1999a,40; Wolf:2002,108–109,n–21; Robertson and Hill:2004,130–131).

وقد عثر أيضاً على بقايا كسارةٍ من أكواب وأطباق من النوعين الملوَّن و/ أو المطبوع (Both stamped and/or painted) بصورة مكثفة كما هو الحال فيما عثر عليه في مروي (Shinnie and Bradley:1980; Török:1997a,285–286). وفي المصوَّرات الصفراء (Edwards: 1999a,28–35), وفي الحمَّاداب (Dittrich:2003,81–88), بالإضافة إلى كميات قليلة ونادره لتزاويق مطبوعة على الفخار (أكواب + أطباق) في

شكل حبوب ثمرة القريب فروت كما في مروي (Török:1997a,fig 86,n 197-81 and 83).

وأحدى هذه الجرار الصدفيه (egg shell) وأكثرها ندرةً فيما عثر عليه وقابلة للتوريخ, هي قطعة اسطوانيه الشكل يميل لونها الأخضر الى الزرقه, وهي شبيهة بما عثر عليه في ود بانقا (SNM62/9/71: Vercotter: 1962,292,fig 27 ;Welsby and Anderson:2004, 258-259,n .236) , وبها سمات تبدو مستلفةً من النماذج الفرعونيه إلا أنها موظَّفة هنا بطابع خاص : الجسم يستند على أرجل وتحميه كوبرا, مما قد يشير إلى سماتها الألوهية, وحُلِّيت في جزئها الأعلى برسمٍ لحاجب عينٍ بشرية تنظر إلى شكل يشبه كورنيشا يرتاح عليه تمساح, ويبدو محتملاً أن جانبين من جوانبها قد حُليا بنفس الطريقة كما تشير لذلك بقايا رسم التمساح. وفي وجود كل هذه العناصر المحفوظه جيداً , ليس هناك من شكٍّ أن السائل المحفوظ في هذه الجره هو ماءٌ له خصوصيه قيِّمه ذات استخدام طقوسي.

إن قسماً كبيراً من الفخار يعود دون شك الى الثقافة المروية , مثلما عثر عليه في مواقع أخرى مثل مروي (Shinnie and Bradley:1980, 163-220; Näser in Shinnie and Anderson:2004,212-262) وفي الحمَّاداب (Wolf:2002,107) أو في ود بانقا (Vercotter:1962). ومن بين العناصر الأخرى هناك أقراط الشفاة المصنوعة من القاشاني (faience plaques), بالإضافة إلى كميات قليلة من خراطيش غير مكتمله المعالم ومزخرفة بريش وسعف بجانب العديد من شدادات السهام (archer's looses), وهي كالمعتاد من النوع القصير ومن الحجر الصلب, إلا أن واحدة منها صنعت من الفخار مثلما عثر عليها

في مروي إلا أن تفسيرها باعتبارها شدادة سهام لايجد قبولاً (Näser:2004,253).

أما التماثيل الطينيه الآدميه التي عثر عليها بكميات كبيره في منطقة الفرن (الصناعة) فهي ذات طابعٍ معروفٍ جيداً في مروي منذ فترتها الكلاسيكية مروراً الى الفترة المتأخره (Shinnie and Bradley:1980,180–181, fig70–72; Näser:2004,261) , وجدت غالبيتها في مروي في المستويات النهائيه.

إن الرأس والجسد غالباً ما ينفصلان عن بعضهما البعض ويلتصقان –ربما– فقط عن طريق (قشة) تحشر في فتحه تفتح في قاعدة الرأس وفي بداية الجسم بينما وجدت نفسها في ثقافة المجموعة ج ملتصق رأسها بالجسد عن طريق رقبه طويلة (Wenig:1978, nos 14–18) ويُشار إلى الأعين في الرؤوس عادةً بشكل غير دقيق الملامح وحزوز دائرية في الجزء العلوي من الرأس, وعادةً ماتكون هناك ثلاث (شلخات) على الخدود (شكل رقم 44).

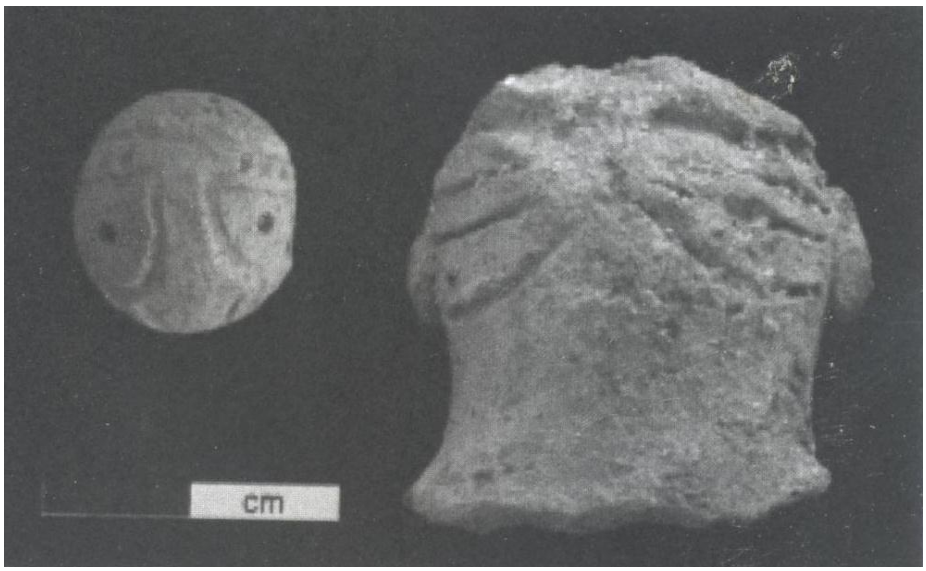

شكل رقم (44) : ملامح الاعين والشلوخ في الرؤوس

عن (M. Baud, 2008, 58, plate 4)

وهو ما يؤكد رسوخ هذه العادة الجمالية والصحية وإبغالها في القدم ويؤكد استمرارية هذه المنطقة الثقافية وعدم انفصالها عن ثقافة الماضي المعاش في سودان اليوم ذلك رغم بدء تلاشي هذه العاده في الأوقات المتأخرة من حاضر اليوم, وتضاف الوجوه في بعض الرؤوس الأخرى بقطعٍ إضافيةٍ من الطين لتشكيل الآذان والعيون والفم (شكل رقم 45).

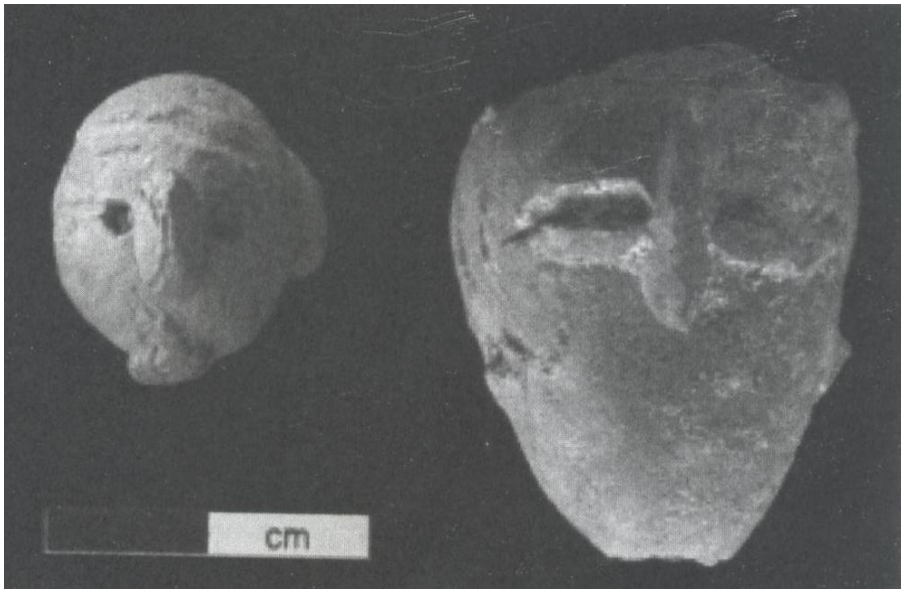

شكل رقم (45) : تفاصيل الوجوه في بعض الرؤوس

عن (M. Baud, 2008, 58, plate 5)

أما التماثيل الأنثوية فهي من نوع الطين الناعم الملمس المعروف ب(steatopygous) وتشكَّل عادةً جالسةً على مؤخِّرةٍ بارزةٍ وشبه مثلثةِ الشكل على عكس تماثيل الفترة المبكره (شكل رقم 46).

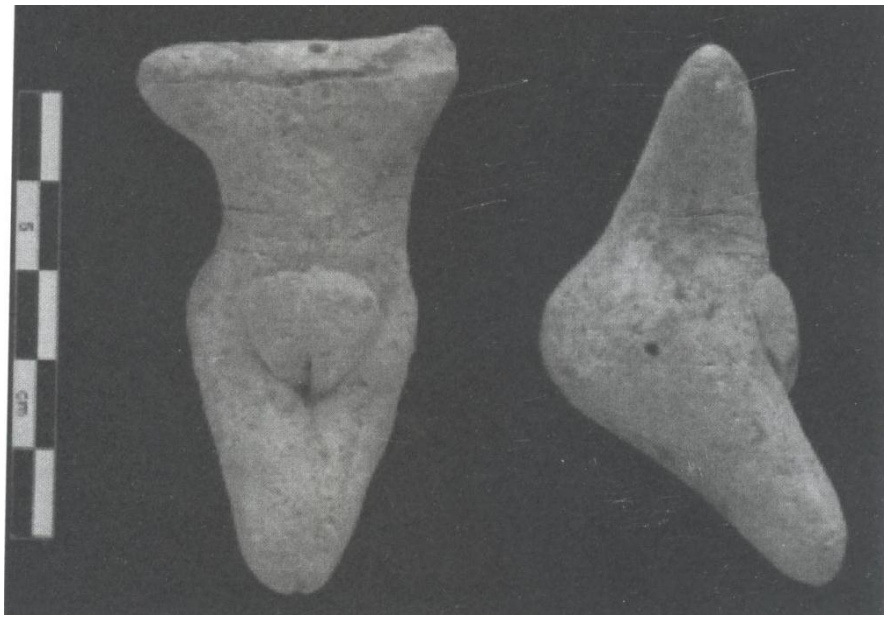

شكل رقم (46) : تماثيل أنثوية من الطين الناعم

عن (M. Baud, 2008, 58, plate 6)

وقد عثر في مدينة مروي على نماذج مشابهه لها بها رؤوس أو بدونها, بالإضافة إلى نماذج إضافية عثر عليها في المدفن رقم 323 في جبانة البجراوية الغربية Beg. W. 323 (Wenig:1978, no 143). ومما تجدر ملاحظته أن الجسد لم يكن دائماً يُشكَّل من قطعة طينٍ واحده لإبراز ملامح الجسم. ففي غالبية التماثيل الأنثوية في مويس, بدا أن هناك ثلاث قطع من الطين مختلفه استخدمت: إحداها تُضغط لتشكِّل طول الجسم حتى الجزء العلوي منه, وقد كانت هذه الطريقة سمةً مميزةً لتماثيل ثقافة المجموعة ج (Williams:1983,pl .102c), وتستخدم للرؤوس قطعة صغيرة إضافيه, كما تستخدم قطعة ثالثه لإبراز التفاصيل الدقيقه (التشريحية) لتحديد النوع.

إن نوع وشكل الأختام (seals) وال(cretulae) وخصائصها يبدو هو نفس النوع الثقافي المروي فكل الأختام التي عثر عليها لتوريخها هي عبارة عن (tracotta) إما في شكل قرص مسطح (button) أو في شكل حلقات

(ring-shaped), وهي ذات قواعد دائرية الشكل وصغيرة, ومزخرفةٌ عادةً بزخارف هندسية بسيطة الطابع, وهي تماماً من النوع المروي الموصوف ب "Crude finger bezels with incised designs" (Shinnie and Bradley: 1980,181,no figure).

وغالبية الأنواع التي عثر عليها في مويس ذات حلقاتٍ صغيرةٍ جداً حتى أنها في بعض حالاتها أصغر من حجم أصبع اليد, والعديد منها شُكِّل في أشكال مختلفة ودقيقة التشكيل مثل (طائر الروح ba-bird, قرود baboon, النسر falcon, رؤوس كباش جاثيه, كوبرا, علامة الحياة ankh-sign, زهور, أيادٍ ..... الخ...) وهي في غالبتها تتخذ شكلا إما بيضاوياً أو دائرياً محيطه يتراوح مابين عشرة إلى عشرين مليمتراً (شكل رقم 47).

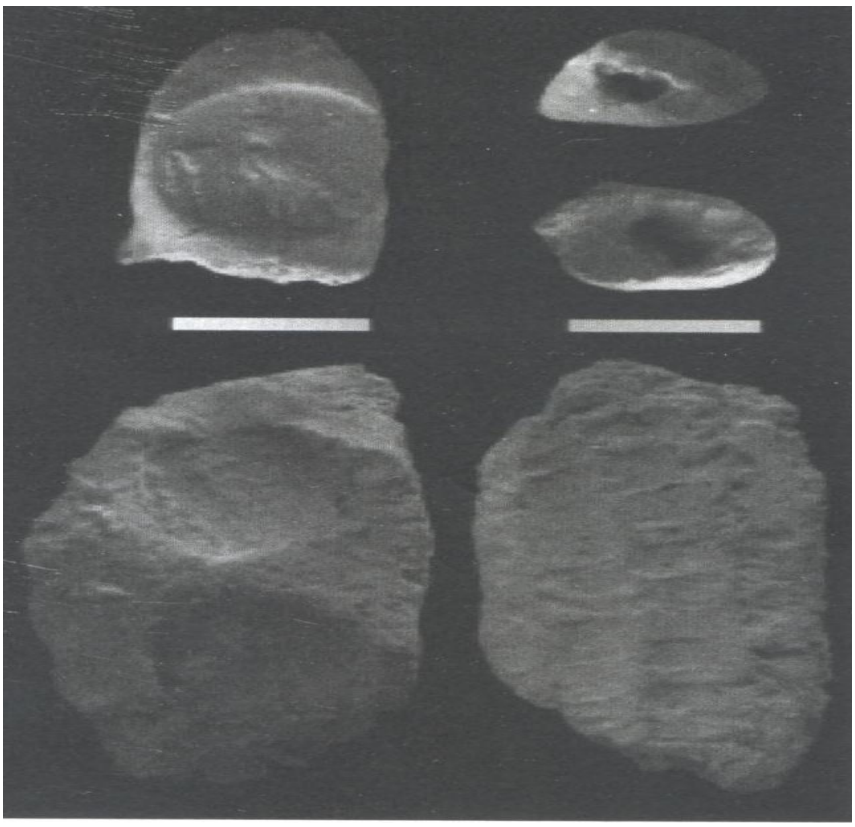

شكل رقم (47) : انواع من الاختام المروية

عن (M. Baud, 2008, 58, plate 7)

وقد وُجدت هذه الأنواع أيضاً في مروي (Shinnie and Bradley:1980,fig 69) وفي ود بانقا, إلاَّ أنها لم تنشر لكنها مسجلة في سجلات متحف السودان القومي بالخرطوم وهي قيد الدراسة حالياً بواسطه الباحثة الفرنسية أميناتا ساكخو – أوتيسير Aminata Sackho–Autissier).

إنَّ موقف الحفريات لايُمكِّن حتى الآن من وضع تقويم تعاقبي للفخار وبقية المواد الأثرية والخلوص بالتالي بآراء مؤكدة حول المشابهة بين المستويات المختلفه, وإحدى مهام مستقبل هذا المشروع هي متابعة دراسة الجرار المزخرفة السوداء والبنية اللون والمصنوعة بالأيدي (Shinnie's class J/K) بالإضافة إلى دراسة تنوعات الأشكال الأحجام وتقنيات الزخرفة والتصميم الذي يمكن وصفه بالمدهش! (انظر لنموذج مروي: Shinnie and Bradley:1980,157, 161–162; Robertson and Hill: 2004,125–129). لنموذج الحمَّاداب: (Dittrich:2003,77–80) مما يمكن أن يلقى بعض الأضواء حول قضايا التوريخ.

وبالرغم مما ذكر سابقاً, فإن هذا النوع المشابه لفخار ثقافة المجموعة ج ليس هو إنتاج منزلي يومي تماماً, بل هو جزء من صناعات ورشٍ على مستوىً واسع, ذلك ما تظهره معاييره المتعلقه بشكله وحجمه وزخرفته (Lenoble:1992,80–83) وكذلك من خلال درجة حرقه العاليه (Robertson and Hill:1999). إن هذه الجرار قد ظهرت بوضوح من خلال إحصاء كميات القطع الصغيره المتكسرة (potsherds), فهناك نسبة بلغت 14% منها ظهرت في الطبقات العلوية من مخلفات القصر A, ونسبة 69.5 في الخندق B. ومازالت الإحصاءات من المواقع الحضرية الأخرى نادره. غير أن البعثة المشتركه بين جامعتي الخرطوم وكالقري الكندية, العاملة

في مروي قد جمعت –على سبيل المثال– معدلاً يقدر ب17% (Robertson and Hill: 2004,152,table p2) , وكانت نسبة ضئيلة قد تحصل عليها كل من شيني وبرادلي (Shinnie and Bradley:1980,162) ,ولذلك فإن وضع إطار تاريخي للفترة المروية الممتده من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المتأخره, يبدو حالياً صعباً, خاصةً وأن التحكُّم في مسألة التوريخ تظل معتمدةً على دراسة الطبقات (stratigraphy). وكما سبقت الإشاره, فان ثمان مراحل من البناء كان قد تُعِّرف عليها في الخندق B, وست أخريات على الأقل في الخندق Ga ولم يتم حفره حتى النهاية. وفي كلا الخندقين فإن المرحلتين, أو الثلاث مراحل الأخيره من البناء, تبدو –بشيءٍ من التأكيد– لاحقةً للقصر, كما أظهرت منطقة القصر أربع مستوبات من الإستيطان قبيل بناء القصر, ولذلك, فان تاريخ الموقع يمكن – بالتالي تقسيمه إلى ثلاث مراحل :–

- مرحلة ماقبل القصر
- مرحلة القصر (وتنقسم بدورها إلى مراحل داخل مجمل إطار المدينة)
- مرحلة مابعد القصر

وبالتأكيد, وكما هو معتاد في المجمعات الحضرية, ليس هناك مستوىً رابطاً بين كل منطقة وأخرى يمكن توقعه, ذلك برغم أن التراتب الزمني يوحي بمعاصرة كل الأجزاء بعضها لبعض.

وبرغم أنه من المبكر وضع صوره نهائيه, إلاّ أن تاريخاً لأساس المدينه يمكن استخلاصه من خلال وسائل مختلفه, فظهور الجرار الصدفيه (egg–shell) في مخلفات القصر تعطي تاريخاً قبيل نهايات القرن الأول قبل الميلاد كما أن مشابهة القصر A لقصر ود بانقا تشير إلى نهايات القرن الأول قبل الميلاد وبدايات القرن الأول الميلادي حيث العلاقة واضحة لهذا المبنى والملكة أماني شخيتو, وقد انبنى هذا التاريخ الأخير على قطع كسارة الزخرفة

التي تشير إلى اسم ملوكي إلاّ أنها تعود إلى تاريخ متأخر عن المبنى الذي لم تُختبر مرحلته الأولى من قبل المنقبين (Vercoutter:1962,294–296, pl 20a). وقد أُخذت عينتان من الفحم من خندق أظهر المرحلة الثانية من البناء في الخندق B من التسلسل الطبقي في الكوم الشرقي فأعطتا تاريخاً مُشّعاً يرجع الى الفترة (1962 and 1885 Bp ± 25) أي حوالي 40BC–AD90 و AD60–220 بلغت نسبة احتمال صحته 95.4 %.

ولما لم تكن هناك أسباب داعية لإعتماد المبدأ المشهور في التوريخ والمعروف ب (old wood problem), خاصةً وأنه ربما يعقد المسألة هنا, فإن أفضل تاريخ يمكن الإطمئنان إليه يشير إلى الفترة AD60–90 وهي فترة حكم الزوج الملوكي المروي العروف (الملك نتكاماني Natakamani وزوجته الملكه أماني توري Amanitore إلى فترة الملك أمانيخركريم Amanikhareqerem. وتوقُّع عينات من الإستيطان المبكر تحت القصر, من شأنه أن يضيف –بلاشكٍّ– معلوماتٍ حاسمة لهذه التوريخات الأوليه للموقع.

مويس وبناء مدينةٍ ملكية مروية

Muweis and the structure of Meroitic Royal City :–

أن الإطار الزمني لمدينة مويس بموقعها الجغرافي على ضفة النيل يتيح مقارنتها بالمدن الأخرى من حيث الحجم والخصائص والتاريخ. ولاحاجة هنا لإعادة الحديث مجدداً حول المعلومات حول التوريخ في المواقع المشابهة والتي سبقت الإشارة إليها. والمعروف أن عهد الكور (qore) نتكاماني والكدكي (kdke) أماني توري تميز باعتباره قمَّة بلوغ النشاطات الإنشائية المعمارية وفترة ازدهار في الإقليم (Eide et al:1998,896–904; Török:2002,226–227), وهذه الحقائق عضدَّتها مواقع مثل الضانقيل

(Ahmed and Anderson:2005,21–22; Anderson and Ahmed :2007,31–32). وأكَّدتها كذلك الإكتشافات التي تمت مؤخراً في الحصا (معبد آمون) وفي النقعه (المعبد200) وكذلك الإضاءات المهمة حول عهد (الملك) أمانيخركريم Amanikhareqerem في نهايات القرن الأول قبل الميلاد كفتره أخرى من الفترات المهمة من النشاط الإنشائي المعماري (Žach and Tomandl:2000,130,n 24; Rondot:2006), كما بينت هذه الدراسةُ ذلك تفصيلاً في فصلها السابق عن موقع الحصا, حيث بدا هذا الحاكم معتلياً العرش بفترة قرن أقدم مما كان يُعتقد سابقاً (Wenig:1999; Rilly:2001; Rondot:2006,41–42,113), وبالنسبة لطراز نقوش معبد النقعة 200 (Kroeper:2007,233). أما ود بانقا, كما أُشير سابقاً, والحمَّاداب, فقد قدمتا دلائل لنشاطات معمارية أقدم في القرن الأول قبل الميلاد إن لم يكن أقدم من ذلك (Wolf:2004,87).

إن الدليل التوريخي (Chronological) بالنسبة لتاريخ المدن ينبني في الأساس على شواهد أسماء ملوكية ترتبط عادةً بالمعبد أو المعابد الرئيسية والتى بدورها إما تشير إلى مجمل المستوطنه أو تقدم تاريخاً يمكن الإطمئنان له حول أساس مدينةٍ أو إعادة انشائها وتخطيطها بصورة رئيسية.

ولذلك, فإن التنقيبات المكثفة هي فقط التى من شأنها أن توضح ما اذا كانت (مويس) قد خُططت كوحدةٍ واحدةٍ تحت قيادة حاكم, أم كونها ظهرت كنمو سُكاني مضطرد نحو (مشيخةٍ) واحدةٍ أو مشيخات عديده.

الفصل الرابع
تحليل المدن

كانت المستوطنات المروية عبارة عن مبانٍ من الحجر أو الطين اللبن أو المحروق، وكانت تقوم على أساسات من الحجر، وما يزال سقفها الذي يأخذ شكلاً نصف دائري (Vaulted roof)، والذي يمثل شكلاً من أشكال العمارة المصرية، مستخدماً في بعض مناطق من سودان اليوم. وبنى المرويون القلاع والمراكز الطقوسية في قصر ابريم وجبل عدا (الإثنتان على الضفة الشرقية للنيل)، إلا أن القرى المروية التي كانت أكثر حماية، وخاصة تلك التي تقع على الضفة الشرقية من النيل، يبدو أنها كانت عبارة عن مجموعات من المنازل غير المحصنة جيداً، ذلك يبدو –ربما– لأن طبيعة المنطقة نفسها كانت تمثل تحصينات طبيعية، وقد كانت هذه المنازل تقع مباشرة خلف المناطق الزراعية كما هو حال القرى في سودان اليوم. ويبدو أن السكان قد توزعوا على كل نطاق الأرض حولهم أينما سمحت الرقعة الزراعية وشغلوها، وقد وزعوا مساكنهم خلف الرقع الزراعية مباشرة اعتماداً على النيل (نيل – زراعة – مساكن). وقد بدا ذلك واضحاً بشكل جيد حيث تشابهت فيه المدن الثلاث (دومة الحماداب والحصا وموبس) وظهرت مؤشراته في بعض المدن الأخرى في منطقة الدراسة وإن لم يشملها البحث تفصيلاً في هذه المرحلة.

ولقد أثرت العوامل العسكرية في توزيعات المجتمع السكانية خاصة في نهايات وبدايات الفترة المسيحية الكلاسيكية في السودان القديم. إذ فقط نحو نهاية الفترة المسيحية ظهرت المستوطنات المحصنة بشكل واسع.

وآخذين في الإعتبار الجزء الشمالي الشرقي من الكوم الشمالي في الحماداب بمبانيه وشوارعه الضيقة، بالإضافة إلى المواد المستخدمة في البناء،

وكذلك المعثورات التي جمعت من على السطح، والتي من بينها المواد المستخدمة في الحياة اليومية، فقد بدا واضحاً أن مدينة الحماداب هي مستوطنة حضرية مروية نمت وتطورت خلال فترات طويلة من عمر المملكة المروية، ويشير التركز العالي لكميات وأنواع الآنية الفخارية المروية الجميلة الصنع إلى حياة طبقة اجتماعية راقية سكنت المدينة في القدم، بينما تدلل كميات شدادات السهام "Archer's looses" إلى ظهور قوات مسلحة في المسرح, وهو ماتفردت به مدينة الحماداب عن نظيرتيها الأخريين في الحصا ومويس, واستناداً على ما تم التوصل إليه من نتائج حتى الآن، فإنه يمكن القول أن مدينة الحماداب القديمة هي أقرب المراكز الحضرية إلى مدينة مروي العاصمة و التي تضم إدارات سكنية وعسكرية ومبانٍ إدارية ودينية ومراكز إنتاج, وهو الأمر الذي تشابهت فيه الحماداب مع الحصا ومويس غير أن الطبيعة العسكرية لم تظهر بوضوح فيهما.

إن التخطيط العام لمدينتي الحماداب ومروي العاصمة، يبرز الأهمية القصوى لمدينة الحماداب في منظومة مدن الريف المروي، بالنسبة إلى عاصمة المملكة خاصة من وجهتي النظر الإقتصادية والأمنية، حيث لا يفصل بينهما سوى وادي الهواد الموسمي. وهناك بعض الملامح المعمارية العامة مثل التصميم المستطيل للمباني، ووضع المعبد (H1000)، يمكن مقارنتها بسهولة بالعمارة الرومانية في فتراتها المتأخرة، كما يبدو التأثير الروماني متمثلاً في بعض المعثورات الصغيرة مثل لمبة الزيت المصنوعة من الفخار "Oil-lamp" التي عثر عليها في موسم 2002م, وقد اختلفت مدينة الحماداب في هذه الملامح عن مدينة مويس التي لم ينقب فيها عن معبد إلا أن دلائله قد توفرت على السطح أما معبد الحصا فليست هناك مؤشرات واضحة لتأثيرات رومانية فيه.

ولما كان الإهتمام متزايداً بين الباحثين في حقل الدراسات المروية، فإن طبيعة المدن الثلاث قد قدمت نتائج جيدة كانت منتظرة فيما يتعلق بدراسة الجوانب المختلفة للمجتمع المروي، خاصة ذلك القريب من عاصمة المملكة، وعلى وجه الخصوص تلك الجوانب المتعلقة بتماسكه واحتفاظه بخصائصه المختلفة، وتحديداً منذ أواخر الفترات المتأخرة من العهد المروي، حيث يبدو أنه مجتمع استمر تواصله في مناطق واسعة من الإقليم.

كما أن المدن الثلاث هي أول الإحتمالات أمام الدارسين للحصول على خارطة طبوغرافية مكتملة لمدينة من مدن الريف المروي، فطبيعتها الملوكية وشبه الملوكية ربما تُمكن –مستقبلاً– من المقارنة بين مختلف طبقات التسلسل الإجتماعي في الفترتين المروية وما بعد المروية. كما أن الدليل من مناطق الإنتاج في هذه المدن ربما يدفع للأمام مستقبلاً الدراسات المتعلقة بإنتاج الحديد في مروي وغيرها من التقنيات القديمة.

أما موقع الدامبويا (Damboya) الذي يبعد حوالي 1.4 كلم جنوب شرق الحصا، هو بلا شك ذات الموقع الذي ذكره هنكل في خريطته الآثارية للسودان تحت اسم ديم القراي أو كريد القراي. وقد جاء في وصف الموقع أن به كوماً مغطى سطحه بقطع الفخار والطوب الأحمر وبقايا ملاط (Plaster) حوائط داخلية وخارجية بألوان حمراء وزرقاء وصفراء، كما وصفه كذلك فرانسيس قوز بذات الأوصاف، غير أنه ذكره باسم الحصا, وهو الكوم الذي لم ينقب حتى الآن ويشير بوضوح إلى وجود قصر ملوكي تحته مما يشير إلى تشابه مدينة الحصا مع مدينة مويس ويبين بوضوح طبيعتيهما الملوكية, خاصة وأن القصر الملوكي في مويس استندت مقارنات منقبيه على قصر ود بانقا غير أن الحماداب لم يبن فيها حتى الآن وجود قصر ملوكي إلا أن

طابعها العام ووجود معبد فيها يشابهها مع نظيرتيها الحصا ومويس من حيث الطابع الملوكي للمدن.

كما أن وجود العديد من القطع المصرية الطابع، والتي من بينها تماثيل متقنة الصنع، يلفت الإنتباه بسبب وجوده في محراب معبد آمون بالحصا، كما تلاحظ أيضاً أسلوب صنع تمثال الإلهة إيزيس الذي صنع بنفس الأُسلوب البطلمي، ويدلل كل ذلك على قدم معبد الحصا وربما يرجعه على وجه التقريب إلى نهايات القرن الأول الميلادي, مما يشير إلى اتفاق الحصا والحماداب في التذامن التاريخي لكلا المعبدين فيهما غير أن منقبي الحماداب لم يطمئنوا الى ارتباط ايزيس بالمعبد فيها ولم يعثر على تمثال لها فيه أو في مويس حتى الآن, غير أن مويس تتفق معهما في الفترة التاريخيه رغم عدم تنقيب معبد فيها حتى الآن.

ومن خلال انتشار المخلفات السطحيه, على موقع مويس يمكن اعتبار الموقع مستوطنة مروية شاملة (واسعه) يعود تاريخها على الأقل من الفترة الكلاسيكية إلي الفترة المتأخرة من مروي. (أي من الفترة الممتدة من القرنين الأول إلى الرابع الميلاديين), وهي ذات الفترة التي تعود إليها مدينتا الحماداب والحصا.

وتضم المستوطنه في مويس مبنىً رئيسياً جعلت منه المخلفات الأثرية المنتشره على سطحه كوماً ترابياً كبيراً معروفاً محلياً بإسم (قلعة الحُواره), بجانب إنتشار العديد من كسارة ألواح الحجر الرملي التي غالباً ما تشير لوجود معبد لم ينقب, وقد دللت عمليات المسح على وجود منطقةٍ استيطانيةٍ سكنيه بجانب وجود مناطق للورش والصناعات, خاصةً والموقع مغطىً سطحه جزئياً ببقايا خبث صناعة الحديد, وهو ما اتفقت فيه مع نظيرتيها الحصا والحماداب.

إن الوسائل المختلفة التي استخدمت في التعرف على طبيعة هذه المدن الثلاث قد أعطت فكرة عن نظام توزيع المدينه وعلاقته بطبوغرافيه وطبيعة الأرض.

إن الكميات الكبيرة من التماثيل الطينيه البشرية والحيوانية التي عُثر عليها قريباً من الأفران وحولها خاصة في مويس, وفي كل مراحل التصنيع, بجانب لمبات الجاز الفخارية المصنوعه مختلطه في بعض الحالات من الطين, ربما تشير إلى أن الأفران في المدن الثلاث قد شهدت استخدامات متنوعة متعلقه بصناعة الخزف والفخار. وهناك مؤشرات أُخرى تدلل على أن صناعةً للجرار المروية الجميلة الصنع (Meroitic fine jars) قد مورست في هذه المواقع. وعلى عكس ماكان قد أُفترض سابقاً, فالآن يمكن ملاحظة أن إنتاج الجرار المروية وتصنيعها لم يكن قاصراً على المناطق الشمالية فقط من السودان, فمنطقة مروي مثلاً, ومن خلال المصورات الصفراء والحماداب والحصا ومويس , قدمت ورشاً مشابهه لتصنيع الفخار.

واذا كانت مويس قد صنعت أيضاً الجرار الصدفيه (egg shell vessels), فإن فرضيةً يعوزها التأكيد تبرز أن هذه الصناعة تمثل حوالي 1% من نشاطها الفخاري. حيث أن 1% فقط من بقايا كسارة الفخار تستمر في مناطق أخرى متفرقه من المدينة, وهذا الأمر مشابه جداً لما لوحظ في مروي بواسطة البعثة المشتركه بين جامعتي الخرطوم وكالقري الكنديه, حيث تبلغ النسبة هناك 1.8%, غير ان نسبته في الحماداب والحصا لم تُحصَ.

إن الصورة العامة التي قدمتها التنقيبات الآثارية والمسوحات المغناطيسية في هذه المدن تشير إلى المواقع باعتبارها مراكز تذكارية تضم عدداً من المباني ومساحاتٍ مفتوحة, وهي دليل على انتمائها لنفس الخارطة لتشير إلى كونها أحد المباني الواسعة والضخمة الملحقة بالمراكز وتمثل بما

تضمه من مبانٍ صلة مباشرة في منظومة البناء القديمة على النيل وهذه العلاقة مع النيل, وخصوصاً فيما يتعلق بوضع المعابد, هي ذات سمتين مصرية وسودانية معروفتين, حيث يمثل النيل زاوية الشمال المحفزة لتوجيه المباني نحوه جغرافياً ومعنوياً بجانب محفِّزات أخرى متعلقه بالفضاء (السماء) والطبوغرافيه. ذلك في وجود علاقة –بالطبع– وثيقة بين آمون والنيل حتَّمت وتحكمت في وضع المعابد على ضفاف النيل.

إن المعطيات الثقافية التي جمعت من السطح أو من خلال التنقيبات تبدو من النظرة الأولية, متجانسةً وذات طابع واضح إمتداده من الفترة المروية الكلاسيكية إلى الفترة المروية المتأخرة, ومما يؤكد هذا التوريخ العثور على الجرار المروية الجميلة المزخرفة والمصنوعة من أصداف البيض والمعروفة ب "egg–shell" fine ware,(Adams class M, Shinnie class F) والتي وجدت منتشرةً بصورة واسعة في كل طبقات هذه المستوطنات الثلاث وهذا يقود بدوره إلى افتراض نهايات القرن الأول قبل الميلاد تاريخاً لبداية استيطان هذه المدن, ذلك رغم أن اختلافاً بين الباحثين مايزال قائماً حول تحديد بدايات ظهور هذا النوع من الفخار.

إن قسماً كبيراً من فخار هذه المدن الثلاث يعود دون شك إلى الثقافة المروية, مثلما عثر عليه في مواقع أخرى مثل مروي وود بانقا. ومن بين العناصر الأخرى هناك أقراط الشفاة المصنوعة من القاشاني (faience plaques), بالإضافة إلى كميات قليلة من خراطيش غير مكتمله المعالم ومزخرفة بريش وسعف بجانب العديد من شدادات السهام archer's looses), وهي كالمعتاد من النوع القصير ومن الحجر الصلب, إلا أن واحدة منها صنعت من الفخار عثر عليها في مويس مثلما عثر عليها في مروي إلا أن تفسيرها باعتبارها شدادة سهام لايجد قبولاً.

أما التماثيل الطينيه الآدميه التي عثر عليها بكميات كبيره في هذه المدن وخاصة في مويس فهي ذات طابعٍ معروفٍ جيداً في مروي منذ فترتها الكلاسيكية مروراً إلى الفترة المتأخره, ووجدت غالبتها في مروي في المستويات النهائيه.

إن التنقيبات الواسعة النطاق التي أجريت في المدن الحضرية المروية (الحماداب والحصا ومويس) وبرغم محدوديتها حتى الآن, قد أبرزت بشكل أو بآخر الطبيعة الملوكية وشبه الملوكية لهذه المدن الثلاث وهو ما يؤكد أهمية وخصوصية إقليم مروي العاصمة من حيث النواحي السياسية والدينية والعسكرية والإقتصادية.

الخاتمه

إن الحفريات الواسعة النطاق (Open-area excavations) التي بدأت مؤخراً في المواقع الصغيرة التي أشرنا إليها قبيلاً, وتمثل حالة الدراسة في هذا البحث, كانت مطلوبة بشدة, وقد بدأت منذ العام 2000م, وهي التي أفردت لها هذه الدراسة جزءها الأساسي, خاصةً وأن الكشف –من خلال المواقع– عن سماتِ استيطانٍ مرويٍّ حقيقيٍّ في الإقليم ولَّد عند الباحثين عدداً من قضايا البحث المتداخلة والمتعلقة بطبيعة النشاطات التي تضمها هذه المستوطنات, مثل التعرف على طبيعة المستوطنين وعلاقاتهم بمجموعات السكان على النيل وفي المناطق الداخلية من أجزاء المملكة, وعن مدى إسهاماتهم الواسعة في إنعاش عمليات الإقتصاد المروي.

إن التفسير النهائي لوظيفة مباني مدينة الحماداب الأثرية ينتظر بالطبع تقدم البحث في المواسم المستقبلية، ولذلك فإن تفسير ما تم تنقيبه من أجزاء الموقع لا يعدو حتى الآن كونه تفسيراً عاماً.

وآخذين في الإعتبار الجزء الشمالي الشرقي من الكوم الشمالي بمبانيه وشوارعه الضيقة، بالإضافة إلى المواد المستخدمة في البناء، وكذلك المعثورات التي جمعت من على السطح، والتي من بينها المواد المستخدمة في الحياة اليومية، فإنه يمكن الإفتراض أن هذا الموقع هو مستوطنة حضرية مروية نمت وتطورت خلال فترات طويلة من عمر المملكة، ويشير التركز العالي لكميات وأنواع الآنية الفخارية المروية الجميلة الصنع إلى حياة طبقة اجتماعية راقية سكنت المدينة في القدم، بينما تدلل كميات شدادات السهام "Archer's looses" إلى ظهور قوات مسلحة في المسرح. واستناداً على ما تم التوصل إليه من نتائج حتى الآن، فإنه يمكن القول أن مدينة الحماداب القديمة هي

أقرب المراكز الحضرية إلى مدينة مروي العاصمة و التي تضم إدارات سكنية وعسكرية ومبانٍ إدارية ودينية ومراكز إنتاج.

وكل ذلك مقروءاً مع الخارطة العامة لمدينة الحماداب ومقارنتها مع الخارطة العامة لمدينة مروي العاصمة، يبرز الأهمية القصوى لمدينة الحماداب في منظومة مدن الريف المروي، بالنسبة إلى عاصمة المملكة خاصة من وجهتي النظر الإقتصادية والأمنية، حيث لا يفصل بينهما سوى وادي الهواد الموسمي. والملامح المعمارية العامة يمكن مقارنتها بسهولة بالعمارة الرومانية في فتراتها المتأخرة، كما يبدو التأثير الروماني متمثلاً في بعض المعثورات الصغيرة مثل لمبة الزيت "Oil-lamp" المصنوعة من الفخار.

أما حفريات معبد آمون في موقع الحصا, فقد قدمت نتائج جيدة جداً فيما يتعلق بالمسائل التاريخية والدينية للدولة المروية منذ نهايات القرن الأول قبل الميلاد وبدايات القرن الأول الميلادي, فالملك أماني خا رع كريم, الذي لم يكن يُعرف عنه سوى بعض الآثار المتفرقة, بينت هذه الدراسة معبدين يحملان اسمه (في النقعة وفي الحصا), كما أن المعلومات المفصلة التي توفرت عن مكانة هذا الملك في التسلسل الزمني لملوك مروي, ووجود مبنيين للعباده مشيدين بناءً على أوامره, قد اسهمت بشكل أوضح في فهم المعلومات التي كانت متوفرة عن نب معات رع أمانا خاركرم.

أما الإطار الزمني لمدينة مويس بموقعها الجغرافي على ضفة النيل فقد أتاح مقارنتها بالمدن الأخرى من حيث الحجم والخصائص والتاريخ.

والمعروف أن عهد الكور (qore) نتكاماني والكدكي (kdke) أماني توري تميز باعتباره قمَّة بلوغ النشاطات الإنشائية المعمارية وفترة ازدهار في الإقليم, وهذه الحقائق عضدَّتها مواقع مثل الضانقيل. وأكَّدتها كذلك الإكتشافات التي تمت مؤخراً في الحصا (معبد آمون) وفي النقعه (المعبد200)

وكذلك الإضاءات المهمة حول عهد (الملك) أمانيخركريم Amanikhareqerem في نهايات القرن الأول قبل الميلاد كفتره أخرى من الفترات المهمة من النشاط الإنشائي المعماري, حيث بدا هذا الحاكم معتلياً العرش بفترة قرن أقدم مما كان يُعتقد سابقاً, أما معبد النقعة 200 ومعبد ود بانقا ومعبد الحمَّاداب, فقد قدمت دلائل لنشاطات معمارية أقدم في القرن الأول قبل الميلاد إن لم يكن أقدم من ذلك.

ولذلك, فإن التنقيبات المكثفة هي فقط التى من شأنها أن توضح ما اذا كانت الحماداب والحصا ومويس قد خُططت كوحدةٍ واحدةٍ تحت قيادة حاكم, أم كونها ظهرت كنمو سُكاني مضطرد نحو (مشيخةٍ) واحدةٍ أو مشيخات عديده,

وقد كان الباحثون حتى وقتٍ قريب لايمكنهم وصفها بكونها مواقع مدن (Towns) أو قرى (Villages) بمعناها المعروف, ذلك لغياب الدراسات التفصيلية الموجهة اليها, الأمر الذي أوجد صعوبةً أمامهم في تفسير شكل ووظيفة المخلفات, مما قادهم بالتالي للقول –بحذر– بكونها مخلفات لمبانٍ لمجموعات سكانية حضرية, وهو الأمر الذي صار اليوم مغايراً بتقدم البحث, كما أبرزته هذه الدراسة بعد توفر بعض الأدلة المتقدمة نتيجة تقدم الدراسات الحالية التي وضعت في حسابها هذه المشكلات.

النتائج :-

- إن الحفريات الواسعة النطاق (Open-area excavations) التي بدأت مؤخراً في مواقع دومة الحماداب, الحصا ومويس قد أكدت أهمية نطاق شندي الآثاري (Shendi Archaeological Reach) في فهم منهجية دراسة السجل الإستيطاني في المنطقة خلال العهد المروي.

- وفرت هذه الحفريات المعطيات الأثرية حول طبيعة تلك المدن المروية, مما مكَّن هذه الدراسة من إجراء المقارنات التفصيلية بين هذه المستوطنات.

- إن الدراسة التفصيلية لهذه المدن (الحماداب, الحصا ومويس) كوحدات مستقلة, ثم دراسة منظومة شبكتها في إطارها الإجتماعي كانت هي المنهجية التي قادت إلى فهمٍ أوضح حول طبيعة تلك المستوطنات.

- لقد أوضحت الدراسة استمرارية هذه المدن في فترات مختلفة من عمر الدولة المروية ووضحت إمكانية ربطها بممارساتٍ لنشاطٍ زراعي مكثف اعتماداً على الأودية المنتشرة في المنطقة.

- كما وضح من خلال هذه الدراسة الإنتشار الواسع لهذه المستوطنات على كل نطاق الإقليم بدءً من مدينة الضانقيل في الشمال وحتى نهاية النطاق في المنطقة الجنوبية من مدينة مروي العاصمة في مدينة ود بانقا, كما توغل بعضها في الدواخل وامتد بعيداً عن النيل بمحاذاة الأودية مثل العواليب وأبورتيلا في شرق كبوشية.

- وتمكنت الدراسة من شرح تركز الأنشطة الإستيطانية في المنطقة وانعدام المواقع الدّالة عليها في منطقة البيوضة على سبيل المثال.

- كما وضعت الدراسة تفسيراتٍ بيئية لتساؤلاتها وقدمت –استناداً عليها– فهماً أكثر تحديداً عما كان متوفراً حول طبيعة النظم المختلفة للدولة المروية.

– إن هذه الدراسة من شأنها الإسهام في تطوير الدراسات المروية خاصة المتعلقه بطبيعة مستوطنات المدن المروية.

التوصيات :-

- إن زيادة توسيع مدى مثل هذه المشروعات البحثية ذات الحفريات الواسعة النطاق من شأنها رفد الخارطة الآثارية للسودان (The Archaeological Map of Sudan) خاصة المتعلقه منها بمواقع المدن في المنطقة.
- تمتين التعاون والصلات العلمية المشتركه بين المؤسسات الوطنية والأجنبية ذات الأهداف المشتركة والعاملة في المنطقة.
- الإستفاده من منهجيات عمل هذه المشروعات في تنظيم مشروعات مستقبلية تتبني على تساؤلات وأهداف واضحة توجه للعديد من مواقع المدن الأخرى التي لاحظتها هذه الدراسة حول مدينة مروي في مواقع مثل الشقالوة, الصدير, التراجمة, الزيداب, قباتي, قدو وقندتو.
- زيادة تنسيق مثل هذه الجهود العلمية والإدارية بين الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمؤسسات العلمية الوطنية والأجنبية لتنفيذ مثل هذه المشروعات البحثية.

مصادر ومراجع باللغة العربية

- إبن خلدون، المقدمة، الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، القاهرة، 1911م.
- إبن منظور، لسان العرب، الجزء 11، بيروت، 1956م.
- أحمد علي اسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، القاهرة، 2005م.
- جمال حمدان، جغرافية المدن، الطبعة الأولى، القاهرة، 1972م.
- جون لويس بوكهارت، رحلات بوكهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، القاهرة، 2007م.
- خضر آدم عيسى، تاريخ المدنيات القديمة، منشورات جامعة السودان المفتوحة، 2005م.
- سليم حسن، مصر القديمة، الجزء الأول، القاهرة، 1940م.
- عبد المنعم أحمد عبدالله, مدن الريف المروية, مدينة الحماداب ودلالاتها الآثارية, ورقة غير منشورة قُدمت للملتقى التاسع للإتحاد العام للآثاريين العرب, القاهرة, 2006م.
- عمر الصغير، التوسع الفينيقي في البحر المتوسط، الجزائر، 1997م.
- عون الشريف قاسم, قاموس اللهجة العامية في السودان, القاهرة, 1985م.
- فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، بيروت، 1958م.

مراجع باللغات الأجنبية :-

- Adams, W.Y. 1984, Meroitic Architecture. Meroitica 7,255-79, Berlin.
- Adams, W.Y. 1986, Ceramic Industries of medieval Nubia, Lexington.
- Adams, W.Y. 2005, The West Bank Survey from Faras to Gemai, 2 sites of Meroitic and Ballana age, Sudan, Archaeological Research Society publication no.13. London.
- Ahmed. K.A, 1984, Meroitic Settlement in the Central Sudan, BAR International Series 197, Oxford.
- Ahmed.K.A, 1999, 'Economy and Environment in the Empire of Kush', in S. Wenig (ed), studies zum antiken Sudan, Wiesbaden, 291-311.
- Ahmed, S.el-din.M, 1992, L'agglomeration nappateèn de Kerma, enouete archèologique et èthnographique en milieu Urbain, Paris.
- Ahmed, S.el-din.M, and Anderson. J. 2005, Le Temple d'Amon á Dangeil (Soudan), Bulletin de la societé Fransaise d'egyptologie 162, 10-27.
- Al-Hakem, A.M.A. 1988, Meroitic Architecture, Khartoum.
- Anderson. J. R. and S.M.Ahmed, 2007, Throne Room, and Dais in the Amun temple at Dangeil, Nile state Sudan, in B. Gratien (ed), Melanges offerts á Francis Geus, Cahiers de recherché de l'institute de papyrologie et d'egyptologie de Lille 26, 29-39.
- Anderson. J. R. and S.M.Ahmed, 2010, Excavations in the Temple Precinct of Dangeil, Sudan, British Museum.
- Badawy, Alexandar, 1948, Le Dessin Architectural chez les Ancient Egyptien, Le Caire.

- Bietak, M. 1979. Urban Archaeology and the Town Problem in Ancient Egypt, in K.R. Weeks (ed), Egyptology and the Social Sciences, five studies, Cairo, 97-144.
- Boesch H., 1974, A Geography of World Economy, Van Nostrand Princeron.
- Bradley, R.J.1982, Varia from the City of Meroe. Meroitica 6,163-170. Berlin.
- Bradley. R. 1984, Comments on Meroitic Architecture, in F. Hintze (ed), Meroititische forchungen 1980, Meroitica 7, Berlin, 280-286.
- Bradley, R.J. 1984, Meroitic Chronology, Meroitica 7,195-211, Berlin.
- Bradley, R. 1992, Nomads in the Archaeological Record, Meroitica 13, Berlin.
- Carter.P.L. and R. Foley, 1980, A Report on the Fauna from Excavations at Meroe, 1967-1972, in Shinnie and Bradley, 298-310.
- Childe, G. 1977, What Happened in History, Penguin, London.
- Crowfoot, J.W.J.F.L.I Griffith(1911): The Island of Meroe and Meroitic Inscriptions, 1. Archaeological Survey of Egypt, Memoir 19. London.
- Dittrich, A. 2003, Meroitische und spatmeroitische keramik aus Hamadab, Der Antike, Sudan 14, 77-91.
- Dunham. D. 1963, The Royal Cemeteries of Kush V: West and South Cemeteries at Meroe, Boston.
- Edwards, D.N. 1989, Archaeology and Settlement in Upper Nubia in the 1st millennium AD.BAR, S 537, Oxford.
- Edwards, D.N. 1996, The Archaeology of the Meroitic State, New Perspectives on its Social and Political Organization, Cambridge Monographs in African

Archaeology 38, BAR International Series 640, Cambridge.
- Edwards, D.N. 1999, A Pottery Workshop at Musawwarat es-Sufra, Preliminary Report on the Excavations 1997, in Courtyard 224 of the Great Enclosure; with Contributions by Steffen Wenig, Hans-UIrich Onasch and Laurence Smith, Meroitica 17.2 .
- Edwards, D.N. 1999a, Musawwarat es-Sufra 111, A Meroitic Pottery Workshop at Musawwarat es-Sufra, Meroitica 17:2, Weisbaden.
- Edwards, D.N. 1999b, Meroe in the Savannah-Meroe a Sudanic kingdom2, in S.Wenig (ed), studies zum Antike Sudan, wiesbaden, 312-320.
- Edwards, D.N. 1999c, Meroitic Settlement Archaeology in D.A. Welsby(ed), Recent Research in Kushite History and Archaeology, British Museum Occasional Papers 131, London 65-67.
- Edwards, D.N. 2004, The Nubian Past, An Archaeology of Sudan, London, New York.
- Eide, T.T. Hägg, R.H.Pierce and L.Török 1998, Fontes Historiae Nubiorum 111. From the First to the Sixth Century AD,Bergen.
- Eigner, D. 2000, Meroe Joint Excavations: Excavations at Slag Heap NWI in Meroe, Der Antike Sudan 10, 74-76.
- Garstang, J. 1914-16, Fifth Interim Report on the Excavations at Meroe in Ethiopia, LAAA7, 1-24, pls-1-X.
- Geus, F. 1974, L'lle de Meroe á l'èpoque napateène et Mèroitique, inventive archeologiaue et problems historique, thèse de l'univèrsite de Lille.

- Geus, F.F. Hinkel and P.Lenoble 1986, investigations postmèroitiques dans la règion de Shendi, in M. Krause(ed), Nubische Studien, Mainz, 81-88.
- Geus, F. and P. Lenoble 1985, Eevolution du Cimetière Mèroitique d'el-Kadada, la Transition vers le postmeroitique en milieu rural meridional in F.Geus and F.Thill(eds), Mèlanges offerts á Jean Vercoutter, Paris 67-92.
- Goldman, T.R. Wutzler, B. Mekiffere, P.Wolf and Mohamed Abdelwahab Mohamed Ali 2007, Geomagnetic Survey at the Meroitic Settlement at Hamadab Sudan, in studiine Zresti Archaeologickebo ustaru slovenske, anademie vied L11, Archaeological Prospection, Nitra, 170-171.
- Gordon Willey, 1953, Prehistoric Settlement Patterns in the Viru Valley.
- Griffith, F.LI. 1917, Meroitic Studies IV: The Great Stela of Prince Akinidad, JEA4, 159-173.
- Griffith, F.LI. 1911, Karanog, Meroitic Inscriptions of Shablul and Karanog Vol.vi. Philladelphia.MCM xi.
- Gutkind, E. 1962, the Twilight of Cities, the Free Press of Glen, New York.
- Harris, C.D. 1965, Suburbs, in Mayer, H. and Kohn.C., eds, Readings in Urban Geography, University of Chicago Press.
- Hinkel, F. W. (manuscript). Archaeological Map of the Sudan. Fasc. V, The Area of The Nile Valley Between the Sixth Cataract and Berber and the Adjacent Bayuda and Butana Deserts.
- Hinkel, F.W. and Siovertsen 2002, Die Royal City von Meroe und die representative profanarchitektur in Kush, The Archaeological Map of the Sudan, suppl-IV, Berlin.

- Hudson.F.S. 1970, A Geography of Settlement, Macdonald and Evons, London.
- Johnson, James H. 1970, Urban Geography, Pergamon, Oxford.
- Jones, Emerys, 1970, Towns and Cities, Oxford University, Oxford.
- Kemp, B. 2006, Ancient Egypt Anatomy of A Civilization (2nd ed), London, New York.
- Kroeper, K. 2007, The End of The Amun Temple and Beginning of Temple 200, C14 Dates from Naga, in B. Gratien(ed), Melarges offerts a Francis Geus, cahiers de recherché de l'institut de papyrologie et d'egyptologie cahiers de recherché de Lille 26, 231-242.
- Lenoble,P. 1987, Quatre Tumulus sur mille du Djebel Makbor, A.M.S. NE-36-0/3-X-1, Archeology du Nil Moýen 2, 207-247.
- Lenoble, P. 1992, Documentation Tumulaire et Ceramique entre 5 et 6 Cataractes, in C.Bonnet(ed) Etudes Nubiennes1, Geneva, 79-87.
- Lenoble, P. 1994, El-Hobagi, in B.Gratien et F.Le saut(ed), Nubie, les Cultures Antique du Soudan. Lille,223-227.
- Lenoble,P. 2001, L'arsenal de Meroe et le Monopole du fer dans L'Empire Meroitique, in J,P. Desccoeuvres(ed). African and the Mediterranean Basin, the Origin of the Iron Metallurgy, actes du le Congres International sur les Origins du Fer en Afrique (Geneve, UNESCO), Mediterranean Archaeology 14, Sydney, 209-217.
- Lenoble,P. 2006, Aux Armes Souverains! L'arsenal Funeraire des Empereurs Meroitiques, in V.Rondot(ed), Cing Conferences d'Archèologie Soudanaise, SFDAS, Khartoum, 17-26.

- Lenoble,P. 2008, Une Carte des Derniers Siecles de Meroe, Sites Prechretiens Autour de l'ancienne Capital, entre Wad Ben Naga et Gabati, Kush 19, forth coming.
- Lenoble, P.and V.Rondot, 2003, a la Redecouverte d, El-Hassa, Temple a Amon, Palais Royal et Ville de l'empire Meroitique, Cahiers de Recherché de l'institut de papyrologie de Lille 23, 101-115.
- Lenoble,P. and Sokari 2005, A Forgotton Meroitic Agglomeration in the Region of Meroe: el-Muweis, Sudan and Nubia 9, 59-61.
- Leonard Woolley and Randall- Mac Iver. 1909, Areika. University of Pennsylvania, Eckley B.Coxe Junior Expedition to Nubia I. Oxford.
- Leonard Woolley and Randall- Mac Iver. 1910, Karanog, The Romano-Nubian Cemetery. Vol.iii. Text. Philladelphia. MCM x.
- Leonard Woolley and Randall- Mac Iver. 1910, Karanog, The Romano-Nubian Cemetery. Vol.iv. Plates. Philladelphia. MCM x.
- Leonard Woolley. 1911, Karanog, The Town, Vol.v. Philladelphia. MCM xi.
- Michel Baud, 2008, The Meroitic Royal City of Muweis: First Steps into An Urban Settlement of Riverine Upper Nubia, in Sudan and Nubia 12, 52-64.
- Näser,C. 2004, The Small Finds, in Shinnie and Anderson, 215-350.
- Rilly,C, 2001, Approche Comparative de la Paleographie et de la Chronologie Royale de Meroe, Meroitic Newsletter 28, 71-89.
- Robertson, J.H. and Hill.E.M, 1999, Two Traditions or One ? New Interpretation of the Hand-made/Wheel-made Ceramics from Meroe, in D.A.Welsby(ed), Recent Research in Kushite History and Archaeology,

British Museum Occasional Papers 131, London, 321-329.
- Robertson, J.H. and E.M.Hill 2004, The Meroitic Pottery Industry, in Shinnie and Anderson, 109-212.
- Rondot, V. 2002, El-Hassa A Town, A Temple to Amun and A Royal Palace in the Meroitic Empire (Butana, Sudan), second campaign October 17th - December 15th 2002, Preliminary Report.
- Rondot, V. 2005, Temple á Amon D'EL- Hassa, Note Sur la Découverte Faite Dans le Sanctuaire, Cinquieme Campagne 15 octobre - 15 décembre 2005.
- Rondot,V.2006, le qore Amanakhareqerem et son Temple á Amon d'el-Hassa, in V.Rondot(ed), Kerma et Meroe, Cing Conferences d'Archèologie Soudanaise, SFDAS, Khartoum, 41-47.
- Sayce, A.H. 1909, A Greek Inscription of A King(?)
- Sayce, A.H. 1914-16, Fifth Interim Report on the Excavations at Meroe in Ethiopia. Part III. The Great Stela of Axum found at Meroe, LAAA7, 23-24. PSBA31, 189-203.
- Sayce, A.H. 1914-16, The Stela of Amon-Renas, LAAA7, 67-80.
- Shinnie,P.L. and R.J.Bradley, 1980, The Capital of Kush1, Meroitica 4, Berlin.
- Simone Wolf (et al) , 2007, Meroë und Hamadab – Zwei Städte im Mittleren Niltal in den Jahrhunderten um die Zeitenwende , Berlin .
- Smith, W. 1973, ed, A Dictionary of Roman Geography, John Murray, London, vol. 1, pp.255-256.
- Taylor.G, 1968, Urban Geography, Methuen, London.
- Török, L. 1987, Meroitic Painted Pottery: Problems of Chronology and Style, BzS 2, 75-106.

- Török,L. 1992, Ambulatory Kingship and Settlement History, A Study on the Contribution of Archaeology to Meroitic History, in C.Bonnet(ed), Etudes Nubienne1, Geneve, 111-126.
- Török,L. 1997a, Meroe City, an Ancient African Capital, John Garstang's Excavations in The Sudan.EES, Occasional Publications 12, London.
- Török,L. 1999b, The Kingdom of Kush, Handbook of the Napatan-Meroitic Civilization, Leiden.
- Török,L. 2002, The Image of the Ordered World in Ancient Nubian Art, The Construction of the Kushite Minol, 800BC-300AD, Problem der Agyptologie 18, Leiden-Boston, Koln.
- Trigger, B. 1965, History and Settlement in Lower Nubia, Yale University.
- Trigger,B. 1985, The Evolution of The Pre-Industerial Cities: A Multilinear Prespective, in F.Geus and F.Thill (eds), Mèlanges offerts a Jean Vercoutter, Paris, 343-353.
- Vercoutter, J. 1962, Un Palais des Candaces, Contemporain d'Auguste (Fouilles a Wad-Ben-Naga, 1958-1960), Syria 39, 263-299.
- Vincentelli, 1, 2001, Clay Sealings from Jebel Barkal (Sudan), Cahiers de réhérch de l'institut de papyrologie et d'ègyptdogie de Lille 22, 71-75.
- Welsby, D.A. 1996, The Kingdom of Kush, The Naptan and Meroitic Empire, London.
- Welsby, D.A. 1998, Roman Military Installations Along the Nile South of the First Cataract, Archèologie du Nil Moýen8, 157-182.
- Welsby, D.A, and J.R. Anderson(eds), 2004, Sudan, Ancient Treasures, London.

- Wenig, S. 1978, Africa in Antiquity, the Arts of Ancient Nubia and the Sudan II, Catalogue, Brooklyn Museum, New York.
- Wenig.S, 1999, Ein, Neuer, Alter Konigsname, in S.Wenig(ed), Studien Zum Antiken Sudan, Wiesbaden, 978-984.
- William, B.B. 1983, C Group, Pan Grave and Kerma Remains from Adindan Cemeteries T.K, and J, Oriental Institute Nubian Expedition 5, Chicago.
- Wolf, P. 2002, Ausgrabungen in Hamadab bei Meroe der Antike Sudan 13, 92-111.
- Wolf.P, 2004, Hamadab-das Hauptquartier des Akinidad? , der Antike Sudan, 15, 83-97.
- Žach.M. 1988, die Gestempelte Meroitische Keramik, Beitrage zur Sudanforschung 3, 121-150.
- Žach, M. and H.Tomandl 2000, bemerkungen zu den Amunheiligtumern in Sudan des Meroitische en Reiches, Beitrage zur Sudanforschung 7, 129-158.

المقـدمة

الفصل الاول

ماهية المدن والإستيطان

الفصل الثاني
بداية ونشوء الإستيطان في السودان القديم

الفصل الثالث

المدن المروية جنوب العاصمة مروي
(حالات الدراسة)

الفصل الرابع
تحليل المدن

الخـــاتمة

المصادر والمراجع

بسم الله الرحمن الرحيم